الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ظاهرة التمرد في الشعر الجاهلي
"الشنفرى أنموذجا"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة):
*- ثلجة روابح

إشراف الأستاذ(ة):
*- غزالة شاقور

السنة الجامعية: **2014/2013**

الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ظاهرة التمرد في الشعر الجاهلي
"الشنفرى أنموذجا"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة):
***- ثلجة روابح**

إشراف الأستاذ(ة):
***- غزالة شاقور**

السنة الجامعية: **2014/2013**

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾

الإسراء: ٨٥

دعاء

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ ، وَخَيرَ الدُّعَاءِ ،

وَخَيرَ النَّجَاحِ،

وَخَيرَ العَمَلِ ، وَخَيرَ الثَّوَابِ

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا

و لا باليأس إذا أخفقنا

و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا

و إذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

صل الله على نبينا *محمد* وعلى آله وأصحابه الأخيار

وسلم تسليما كثيرا

<< ربنا تقبل منا هذا الدعاء >>

شكر وتقدير:

عرفانا مني بالفضل أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان مع خالص الود والوفاء لأستاذتي

(غزالة شافور)

التي تفضلت بالإشراف على هذه المذكرة، وأشكر لها حسن تعاونها وجميل رأيها ومشورتها الكريمة، جزاها الله خير الجزاء، وأسبغ عليها الصحة والعافية، وأدامها فخرا للعلم والمتعلمين.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب ، وجميع أعضاء الهيئة الإدارية بمعهد الأدب واللغات بالمركز الجامعي ميلة بكل ما قدموه لنا طوال المشوار الدراسي .

وإلى كل من مد يد العون والمساندة لإتمام هذا العمل.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت إليه أنيب .

مقدمة:

لا يزال الشعر الجاهلي محل دراسة العديد من الباحثين، لأنه يمثل مرحلة مهمة من الأدب العربي، فقد بقي خالدا في أعماقنا نابضا بكل معاني الحياة، فهو السجل الذي حفظ تفاصيل حياة العرب القديمة وثقافتهم، وكان تصويرا للبيئة العربية الصحراوية ورسما وَفِيًّا لجاهلية العرب، فالقارئ لشعر تلك الفترة يحس أنه أمام لوحات فنية رسمت فيها الأحوال الاجتماعية التي عرفها العرب في العصر السابق للإسلام .

وهذا التراث العربي الذي تركه أسلافنا جزء هام من حياة كل عربي، فمنه استقى الباحثون مادة أبحاثهم، والتي كان جزء كبير منها وقوف ونظر في المظاهر الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي سادت في العصر الجاهلي، بحيث اطلع عليها الأدباء من أجل التعريف بالماضي العربي المجيد الذي كان مطمورا في ثنايا الكتب القديمة، والذي كان ولا يزال يبعث في النفس إعجابا.

ولعل طائفة الشعراء الصعاليك الذين تمردوا على مجتمعهم، من أكثر الفئات جذبا للدارسين والنقاد، فقد استطاعوا التأقلم مع أقسى الظروف الطبيعية والضغوط التي مورست عليهم من طرف القبيلة، وهو ما جعلهم يعيشون في شكل عصابات ضمت الأغربة السود المهمشين والفقراء المستضعفين جمعهم التمرد على نظام القبيلة سعيا لنيل حقوقهم، متخذين من الكهوف والمغارات ملجأ تستقر فيه بحرية . والمتأمل لأشعارهم يجد أنها تصوير للمعاناة والقهر وسعيا لتأكيد ذواتهم الفردية، وإثبات استقلاليتهم عن الجماعة، وقصد متواصل غايته حياة أفضل يسودها العدل والحرية بدل الذل والعبودية .

فالتمرد ظاهرة قديمة قدم الإنسان، وهي من أهم الظواهر السائدة في المجتمع الجاهلي ومن الدوافع الأولى للبحث في طيات الماضي للاطلاع على تفاصيله ولهذا تم اختيار "ظاهرة التمرد في الشعر الجاهلي – **الشنفرى أنموذجا**–" موضوعا لهذا البحث .

ويطرح هذا البحث مجموعة من التساؤلات والإشكاليات منها : ما مفهوم ظاهرة التمرد؟ وما هي الأسباب التي ولدتها؟ وما هي نتائجها؟ ما تجليات التمرد في شعر الشنفرى؟، وكيف كانت فلسفته في إثبات ذاته ؟.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لشدة إعجابي بالعصر الجاهلي ورغبة مني في الاطلاع أكثر على حياة الصعاليك، خاصة شخصية الشنفرى المتميزة، وسعيا لتسليط الضوء على بعض الزوايا والمواضيع، حتى يتسنى للقارئ فهم سلوك الإنسان الجاهلي وهذه الدراسة محاولة بسيطة لمعرفة شخصية الشنفرى والأسباب التي جعلته هو وأقرانه يعلنون رفضهم وتمردهم .

وقد تم اختيار المنهج الاجتماعي لهذه الدراسة، باعتباره المنهج المناسب لتحليل تلك العلاقات الجامعة بين الشاعر والمجتمع من جهة، ومدى وفاء النص الشعري لهذه العلاقات وتمثيله لها وكذا المنهج الفني والمنهج التاريخي كمنهج ثانوي الذي تم اعتماده في جمع المعلومات عن شخصية الشنفرى.

ولتحقيق هذه الغاية فقد تم اعتماد خطة العمل التالية، والتي تم تقسيمها إلى مدخل وفصلين وخاتمة للموضوع.**المدخل** و تطرق إلى طبيعة الحياة في شبه الجزيرة العربية بمختلف جوانبها.يليه**الفصل الأول** بعنوان : التمرد المفهوم والمظاهر ، وخلال جزئه الأول تم تناول المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح التمرد وأهم الأسباب التي ولدت هذه الظاهرة (الفقر – اللون "العرق")، أما جزئه الثاني فقد تناول الصعلكة كنتيجة لظاهرة التمرد متطرقا لمفهومها اللغوي والاصطلاحي، ثم أهم قيمها (الحرية والمساواة – الشجاعة_الكرم_الوفاء بالوعد) .

ويأتي بعدها **الفصل الثاني** وهو الجزء التطبيقي بعنوان التمرد في شعر الشنفرى، وكانت بدايته بلمحة عن حياة الشنفرى .ليتم الانتقال بعدها إلى مظاهر التمرد في شعره، وفلسفته في هذا التمرد .

لينتهي البحث إلى خاتمة ضمنت أهم الاستنتاجات والاستنباطات المتوصل إليها .

وأبرز الكتب المعتمدة والتي كانت عونا في مواصلة العمل هي : ديوان الشنفرى بتحقيق إميل بديع يعقوب، وكذا الحياة الأدبية لـــ: عبد المنعم خفاجي، إلى جانب كتاب الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه) لغازي ظلميات، عرفان الأشقر وغيرها من الكتب الثرية التي ثم اعتمادها لإثراء الموضوع ولكن لم يتم ذكرها.

ومن الطبيعي أن لا يخلو بحث من صعوبة، لذلك فقد واجهتني أثناء إنجاز هذا العمل بعض الصعوبات أذكر منها تمثيلا : ضيق الوقت وتعذر الوصول إلى بعض المصادر والمراجع الخادمة لمحتوى الموضوع، إلا أنني استطعت تجاوز بعضها بجمع مادة اتكأت عليها لإنجاز هذه الدراسة، آملة أن ينتفع بها القارئ .

وفي الأخير لا أنسى ما للأستاذة المشرفة " **غزالة شاقور**" التي رافقتني في هذا البحث من فضل لما قدمته من توجيه وتصويب، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة الذين أفادوني في هذا العمل ولهم مني كل التقدير والاحترام وجزاهم الله خيرا .

ولله الفضل من قبل ومن بعد، فهو الموفق إلى الصواب.

المدخل:

أَلِفَ الباحثون أن يسموا فترة ما قبل الإسلام " بالعصر الجاهلي(الجاهلية الأولى قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم) "، واتفقوا أن هذه الفترة سبقت ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف قرن من الزمن. والجهل الذي وسم به هذا العصر لم يكن جهلا معرفيا، وإنما المقصود به العداوة والبطش، والعصبية، واقتراف لكل ما حرمه الله تعالى من موبقات.[1]

وقد وردت لفظة الجاهلية في القرآن الكريم في عدة مواضع، وهي بمعنى العداوة والبطش بهذا المعنى كما في سورة الأعراف لقوله تعالى:«﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾».[2]

والعرب في هذا العصر كانوا مستقرين في بقعة من الأرض كانت تجمعهم في شكل قبائل، وهي شبه الجزيرة العربية، فهي موطنهم الأصلي وهي: «البقعة الممتدة بين البحر الأحمر غربا والمحيط الهندي جنوبا وخليج العرب شرقا، والعـــراق وبـــلاد الشام شمـــالا، على مساحة ثلاثة ملايين كيلومتر مربع ».[3]

فالجزيرة العربية تمتد على مساحة شاسعة ذات بقاع متباينة في المناخ والتضاريس وهذا ما أكسب طبيعتها بخصائص تميزها، ما خلق تباينا وتعددا في البيئات، مما جعل حياتهم تعتمد الترحال من مكان لآخر لأن أكثرها صحاري.

والعرب من حيث أصلهم ينقسمون إلى أعراق ثلاثة: العرق الذي باد وعفا أثره قبل الإسلام والعرق القحطاني، الذي استقر في بلاد اليمن، والعرق العدناني المنحدر من ولد إسماعيل عليه السلام.[4]

---

1) ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ط24، دار المعارف ، القاهرة، 2003م، ص39.
2) سورة الأعراف، الآية 199.
3) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، ط1، دار الجيل، بيروت ، 1986م ، ص63.
4) المرجع نفسه، ص72.

وهذا يعني أن العرب أصلهم عدنانيين أي منحدرين من سلالة ولد إسماعيل عليه السلام وهم في أصلهم أيضا: « أحد الشعوب السامية، نسبة إلى سام بن نوح... وينقسمون إلى ثلاثة طبقات، عاربة ومستعربة، ويريدون بالبائدة القبائل الهالكة، والعاربة عرب اليمن... والمستعربة أولاد إسماعيل عليه السلام ».[1]

وينقسم العرب من حيث حالتهم المعيشية إلى قسمين أهل بدو، وأهل حضر «فأما البدو فكانوا يألفون الخيام ويعيشون عيشة تنقل وترحال تبعا لمنابت الكلأ ومساقط الحياة ويعيشون على رعي الإبل ».[2]، وهذا يعني أن حياتهم لم تكن مستقرة على عكس أهل المدن أو الحضر فكانوا ينعمون بالاستقرار، يسكنون بيوتا ولا يرحلون عنها أبدا يمارسون نشاطاتهم اليومية بشكل عادي.

أما الحياة الدينية عند العرب فقد كانت مختلفة العقائد، وهي في مجملها حول عبادة الأصنام. فقد غلبت عليهم الوثنية، لأنها من أوسعها وأكثرها حظا في الانتشار، فقد كان مركزها ومستقرها مكة، لأنها مقصد الناس كلهم، إضافة إلى ديانات أخرى كالنصرانية واليهودية.[3]

كما أن لموقع مكة دور في توحيد لغة شعوب العرب، رغم اختلاف لهجاتها وأعراقها.

ومما عرف عن العصر الجاهلي أنه كان مجتمعا قبليا، أي أنهم كانوا يعيشون في شكل قبائل والقبيلة: «وحدة سياسية قائمة بذاتها في العصر الجاهلي، كما أنها وحدة

---

1) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ،تح عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري، ط 1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1997م، ج1، ص37،38.

2) سعد بوفلاقة: دراسات في الأدب الجاهلي (النشأة والتطور والفنون والخصائص)،(د، ط)، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2005م، ص8.

3) ينظر: غازي ظليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، ط 1، دار الإرشاد حمص، 1992م، ص35.

اجتماعية لها نظمها وأعرافها وتقاليدها ».[1].وتتكون من مجموعة أسر تربطهم رابطة الدم الواحد، أي الانتماء لأب واحد، وتجمعهم تقاليد وأعراف، وهذه القبيلة ما دامت مكونة من مجموعة أسر فلابد أن تخضع لسلطة حاكمة ويتولى أمرها شيخ القبيلة، هذا الأخير لابد أن تتوفر فيه صفات تؤهله لنيل منصب السيادة، والتي من أهمها رجاحة العقل، والفصاحة، وذلك لأجل إقناع عامة الناس أثناء مخاطبتهم، ولإعطائهم أحكام وقرارات صائبة ليكون رأيه مسموعا بين الناس.

ومما شاع عن المجتمع في هذا العصر أيضا أنه كان مجتمع طبقي، لأن مجتمع القبيلة كان يتكون من ثلاث طبقات وهي:[2]

1- طبقة الأحرار:

ويحتلون مراكز السيادة وهم الأشراف، وهذا يعني أن أصحاب هذه الطبقة يتمتعون بقدر من النعم والرفاهية.

2- طبقة العبيد:

وهي الطبقة المتدنية تتشكل من الرقيق والأسرى، عملهم خدمة الأسياد فكانت كل الأعمال الشاقة موجهة إليهم من رعي، وسقي، واختلاب...

3- طبقة الموالي:

منزلتها بين بين لا هم أحرار ولا هم عبيد فهي في الوسط.

وهذا هو التقسيم السياسي الذي كان يقيدهم، فالقوانين السياسية التي كان يضعها شيخ القبيلة جد صارمة، فلم تكن إلا لصالح طبقة الأشراف والسادة، ولهذا كانت بعض القبائل تعيش نوعا من الفوضى داخل القبيلة بسبب الظلم والإهانة التي يعانيها بعض الأفراد أو بصفة عامة طبقة العبيد طبقا لما جاء في بعض أشعار العرب.

---

1) عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي (حصاد قرن)، ط1، دار جرير، عمان ، 2007م، ص17.

2) ينظر: غازي ظليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي (قضاياه ، أغراضه، أعلامه، فنونه)، ص31،32.

كما شهد هذا العصر وقائع وحروب بين القبائل والتي كانت تدوم لسنوات طويلة لأتفه وأبسط الأسباب، فالحرب دستورهم في الحياة وكانت أسبابها: «ترجع إلى التنازع حول الرياسة وعلى أماكن الحياة والعشب، أو إلى الاعتزاز بالعصبية أو الانتصار لها أو إلى المحافظة على الشرف والكرامة والذود عنها، والأخذ بالثأر، وحماية الجار ومساعدة الحليف أو الدفاع عن الملك والتعصب لدى سلطان(...) أو الفقر الذائع الذي يدفع إلى النهب والعدوان»[1].

وكان أهم هذه الأسباب التي كانت تجعل الحروب تدوم طويلا هي قضية الأخذ بالثأر فكانت أيام هذه الحروب تغلب على الأيام التي يكون فيها السلم، والتي كانت مجرد استراحة والتقاط النفس، فكانوا يحرِّمون على أنفسهم بعض ملذات الحياة كشرب الخمر والتعطر والنساء ويظنون أن الاقتراب من هذه الأمور تنسيهم قضية الثأر، وهي حالة تستمر معهم إلى غاية تحقيق هذا الهدف.[2]

إضافة إلى أسباب أخرى كالفقر فهو الدافع لنشوب حرب بين القبائل، لأنه قد يحدث هذا النزاع بسبب تسابقهم على مناطق يتواجد فيها ما يضمن لهم استمرار حياتهم، فكان القلق والخوف من الموت جوعا يهددهم، لهذا كانوا يعمدون إلى الغزو والسلب والنهب للعيش، فكانوا يقطعون الطرق، يغيرون على القبائل الأخرى.

ومن أهم الحروب التي وقعت في العصر الجاهلي ودامت لسنوات طويلة هي حرب "داحس والغبراء"، وحرب "البسوس" وهذا على سبيل المثال لا الحصر لأن غيرهما كثير،وهي حروب يشهد بها التاريخ، ولقد خلفت ما لا يعد من الضحايا وقضت على الأخضر واليابس.

1) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص 77.

2) ينظر: شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ط2، دار المعارف، بيروت، (د،ت)، ص18.

- **حرب "البسوس"**: كانت بين قبيلتي "بكر" و"تغلب بن ربيعة"، وكان سببها مقتل "كليب" أخ "المهلهل بن ربيعة" (واسمه عدي بن ربيعة)، لأنه لما رأى "سراب" ناقة "البسوس" بنت "منقذ" التيمية بين إبله لم يعرفها فخزم ضرعها، وكان مقتله على يد "جساس" إبن أخت "البسوس" ومعه "عمر بن الحارث"، فقرر "المهلهل" الانتقام لمقتل أخيه فترك كل ملذات الحياة من شراب ولهو مع النساء.[1]

- **حرب "داحس والغبراء"**: كان سبب نشوبها رهان على السباق بين الفرسين اللتين سميت باسمهما هذه الحرب "داحس" و "الغبراء"، وهما لسيدين من "عبس" و"دبيان"، "قيس بن زهير"و "حديفة بن بدر"، (وكانت داحس لقيس بن زهير، الغبراء لحديفة)، فلما أوشك داحس على الفوز كمن له أحدهم فأبى قيس أن يعترف بهذا النصر واندلعت الحرب بين القبيلتين ودامت سنوات طويلة حتى تدخل سيدان من دبيان وهما "هرم بن سنان" و"الحارث بن عوف".[2]

وعليه فإن جزيرة العرب تميزت بكثرة الحروب والنزاعات بين القبائل لأصغر وأتفه الأسباب، خاصة قصة الثأر التي تقوم مقام القوانين العامة في عالم الجاهلية«فالثأر عادة تأصلت قوتها في طباع الجاهلي فأصبحت جزءا من كيانه وإحساسه... يعيد للفرد والقبيلة الشرف والكرامة والمجد، والقعود عنه مظهر الجبن والغور»[3].

لقد كان للتجارة زمن الجاهلية دور كبير في حياة العرب، وكانوا يجتمعون في مكان عام يمارسون فيه نشاطهم في التجارة،ويأتون إليه من كل فج عميق وهو "مكة".

---

1) أبي عمر بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تح أحمد أمين وآخرون، ط 2، لجنة التأليف والترجمة،(د،ت)، ج5، ص262، 268.

2) المرجع نفسه، ص150- 153.

3) حنا نصر الحتي: مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2007م، ص148.

ومن أشهر الأسواق في الجاهلية سوق "عكاظ" وهي قرية بين نخلة والطائف وكانت تقام بها سوق تجارية عامة إضافة أسواق أخرى مثل سوق مجنه، وسوق ذو المجار.[1]

أما التجارة التي عني بها العرب في هذا العصر فهي تجارة بسيطة كتجارة بعض التماثيل والسيوف والخناجر والرماح، وبعض الحاجيات البسيطة الأخرى، وكذلك الصناعة أيضا هي صناعة لهذه المبيعات لا أكثر، لأنهم كانوا في حاجة لصناعة بعض الأدوات الحربية، فلم تكن لديهم مصانع أو ورشات أو ما شابه، أما الزراعة فكانت هي الأخرى زراعة بسيطة جدا، هذه العناصر الثلاثة لم تكن موجودة إلا عند أهل الحضر.

فأهل المدن أو أهل الحضركانوا يمارسون هذه النشاطات في ظل الاستقرار والعيش الهنيء، والأغنياء منهم هم الذين كانوا يهتمون كثيرا بالتجارة حتى عادت عليهم بالخير الكثير.

أما أهل البدو فهم عكس أهل الحضر تماما، كانوا يعتمدون الترحال، وغياب الاستقرار منعهم من استغلال أوقاتهم للزراعة أو التجارة، لأن هذا يعني ديمومة العيش في مكان واحد، واكتفى أهل البدو برعي الأغنام وتربية الإبل، والثناء في الأراضي الواسعة وتتبع مناطق الكلأ للانتفاع بألبان ولحوم ووبر الماشية والإبل، وقلة الموارد جعلتهم يلجؤون في بعض الأحيان إلى الإغارة والسلب.[2]

فالتجارة لم تكن من مهام أهل البدو بل اختص بها أهل المدن، لذلك كانوا أكثر رفاهية، فقد كان لقريش دور مهم في نشأة التجارة وكانت لهم رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف بين اليمن والشام، كما أمدتهم بالثقافة لاحتكاكهم بالشعوب الأخرى.[3]

1) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ص109–116.

2) غازي ظليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي(قضاياه ، أغراضه، أعلامه، فنونه) ، ص33.

3) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص 42.

فالعرب كانوا في ترحال وسفر دائم في بقاع الجزيرة العربية، وكان لابد لهم من معرفة أحوال الطقس إن كانت تساعدهم على السفر أم لا فألجأهم ذلك إلى « توقي حوادث الجو من المطر والأعاصير ونحو، فعنوا بالتنبؤ عن حدوث الأمطار وهبوب الرياح قبل حدوثها، وهو ما يعبرون عنه بالأنواء ومهاب الرياح »[1] إضافة إلى أنهم كانوا يعرفون التكهن والعرافة والقيافة وغيرها من العلوم أو المعارف التي شاعت عندهم.

فالظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في بيئة العصر الجاهلي جعلتهم في مواجهة دائمة للصعوبات والمشاق، ولولا تضامن أفراد القبيلة الواحدة ونصرة بعضهم والثأر لبعضهم لتشتت القبيلة، فأبناء القبيلة الواحدة لا يخضعون إلا لنظامها وسلطانها. وهو ما جعل المجتمع الجاهلي في عمومه مجتمعا متعصبا، والعصبية هي شعور الفرد بالانتماء والمسؤولية اتجاه قبيلته، وهو ما نلمحه في أشعار الجاهلية، كما جاء في قول "دريد بن الصمة":[2]

وَمَا أَنَا إِلا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ* غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ**

فهو من قبيلة غزية وشعوره بالانتماء والمسؤولية، وغوايته ورشاده من غواية ورشاد قبيلته، لأنه شديد التعصب لقبيلته.

ومن هنا فإن « العصبية الطاغية هي المحرك الأساسي للقبيلة من خلال توحد أفرادها ضد كل غريب ودخيل »[3].

هذه العصبية الطاغية على العرب في عصرهم، كانت عادة وطبيعة فطروا عليها مثلها مثل العادات الأخرى التي اصطبغت فيهم، كالبداوة والجهل.ووأد البنات وغيرها من العادات.

---

1) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، (د،ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت ، (د،ت)، م2، ج3، ص11.

2) أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب، (د،ط)، دار صادر، بيروت ، (د،ت)، ص212.

3) سعد بوفلاقة: دراسة في الأدب الجاهلي(النشأة والتطور والفنون والخصائص)، ص10.

فالمرأة في المجتمع الجاهلي كانت تعاني الاحتقار والذل، فكثيرا ما كانت تتعرض للسبي من طرف أسياد وأشراف القبائل الأخرى، وكثيرا ما كانت تباع في الأسواق، وقد كان هناك نوعان من النساء إماء ، وحرات، وكان منهن الجواري اللاتي يخدمن الشريفات ويرعين الإبل والأغنام، أما العاهرات فلم يكن عملهن شريفا أبدا، وكان العرب إذا ولدت الأمة أو الجارية ولدا رفضوا أن ينسبوه إلى أنفسهم، إلا إذا أظهر بطولته، كما حدث مع عنترة بن شداد العبسي، أما الحرات فكن يقمن ببعض الأعمال اليومية كطهي الطعام ونسج الملابس وإصلاح الخباء.[1]

وظاهرة وأد البنات، ظاهرة شائعة ومنتشرة في المجتمع الجاهلي نتيجة الطيش والتهور خشية الفقر والعار، لأنهم كانوا يكرهون أن تلد امرأة منهم بنتا وكانت وسيلتهم للخلاص منها دفنها وهي حية، وقد شاع هذا خاصة في بعض القبائل كقبيلة أسد وقبيلة تميم[2]. ويتم وئدها لأسباب: إذا ولدت زرقاء، أو شيماء، أو برشاء أو لحساء، وهي صفات يتشاءم منها العرب.[3]

فالمرأة لم تكن لديها حقوق فهي مجرد امرأة عادية أو أمة تقوم ببعض الأعمال ليس إلا، فهي منبوذة مهمشة من طرف أفراد مجتمعها، وغيرها من الآفات كإراقة الدماء وقطع صلة الرحم وهي صفة ذميمة تميز بها المجتمع في عصر ما قبل الإسلام.

فالظروف الاجتماعية التي كان العرب يعيشونها كانت قاسية عليهم، ومن الصعب جدا التأقلم معها لشدة وعورتها، فقد كانوا يعانون الجوع والاحتياج والذل والاحتقار، لهذا خرجت طائفة من الناس بالرفض لكل هذه الظروف والقيود والضغوطات التي كانت تمارس عليهم من عبودية وتسلط وتهميش بسبب التفاوت الطبقي، وقد اشتهرت هذه

1) ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط22، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ص72.

2) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ص 39.

3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،(د، ط)، دار العلم للملايين مكتبة النهضة، بيروت، 1976م ،ج5، ص88،89.

الطائفة كثيرا في المجتمع الجاهلي وعرفت "بالصعاليك، أو كما يسميهم البعض "بالخلعاء" الذين تميزوا بالنهب والسرقة والاحتيال وإثارة الفزع وأيضا سرعة الكر والفرار، وهذه الطائفة هي التي رفضت الذل والاهانة ولم تستسلم للعبودية، فخرجت على كل عادات وأنظمة القبيلة، فلم تجد غير الجبال مأوى لها تستقر فيه، لأن هذه الجماعة كانت تملك رغبة جامحة في الاستقلالية لضمان العيش بعيدا عن كل ضغط.

والصعاليك قبلا كانوا عبيدا يتاجر بهم في سوق الرقيق (سوق النحاسة)، إلا أنهم تميزوا عن العبيد والموالي بشهامتهم وشجاعتهم. [1]. وهذا دليل على الطبقية التي رفضها هؤلاء، وهو ما دعاهم للخروج على القبيلة، فتمردوا على قوانينها فأصبحوا أشد قوة وجلدا لا يرهبون شيئا، فهذا الإنسان استطاع العيش في كنف خطر الصحراء الذي كان يهدده دائما، لهذا نمت حواسه نموا عظيما حتى أصبح يشتم رائحة الخطر من بعيد، فهو شديد الحرص على حياته حتى لا يصبح فريسة وحوش وأعداء الصحراء.[2]

وتمرد الصعاليك كان طمعا في تحقيق العدالة والتوازن، وإيجاد السعادة، فالتمرد دليل على التحدي الذي جاء بعد الظلم والاضطهاد والمعاناة، فكان الشعر كفيل بإثارة هذه المعاناة والأحزان، فجاءت قصيدة الشاعر المتمردة بمثابة مسرح لاستحضار كل تفاصيل الأحداث التي كان يعيشها، فكان حرص العرب على الشعر كحرصهم على أثمن الأشيـــاء، فكانوا يقيمون أسواقا لقول الشعر، وقيل أن المعلقات أنشدت في هذه الأســـواق، وكانت القبيلة تحتفل لثلاث: غلام يولد، أو فرس تلد، أو لنبوغ شاعر، وهو ما جاء في كتاب "العمدة" «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت من مظاهر الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعـــراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذبّ عن أحسابهم، وتخليد

1) ينظر : موسى إبراهيم : أجمل ما قاله شعراء الصعاليك ، ط1 ، دار الإسراء، عمان ، 2005م، ص19.

2) ينظر: عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب وأحاديث الفروسية والمثل العليا، ط4، دار النهضة مصر، الفجالة ، (د،ت) ص 21–23.

لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لايهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج».[1]

فالشاعر درع من دروع القبيلة مثله مثل الفارس، لكن إذا كان من المتمردين على أنظمة القبيلة وأعرافها، فإنه لا يفتخر إلا بنفسه ولا يلوم إلا قبيلته التي طالما كانت ظالمة له.

ومن ثم فإن الأمة العربية في عصر ما قبل الإسلام كانت أمة شاعرة، تصور لنا أحداث الحياة بأدق التفاصيل وأصدقها، فشعرهم كان وسيلة لإخراج المكبوتات والمشاعر نتيجة الضغوط التي كانت تمارس على نفر منهم، ليس فقط معاناتهم من الطبيعة القاسية، بل حتى من التهميش والإهانة من طرف أفراد القبيلة، فهناك طائفة في مواجهة دائمة لأخطار وضغوطات سواء من الداخل أو من الخارج، إلا أن هذه الفئة لم يدم صبرها طويلا فثارت على العرف الاجتماعي، وكل القوانين السياسية، وفضلت حياة التمرد وممارسة كل أساليب الإغارة والنهب والسلب لأجل حفظ بقائه .

يقول "عروة بن الورد العبسي" : [2]

فَيَوماً عَلى نَجدٍ وَغاراتِ أَهلِها * وَيَوماً بِأَرضٍ ذاتِ شَتٍّ وَعَرعَرِ**

فهؤلاء المتمردين كانوا يوما يغيرون فيه على بلاد نجد، ويوم في بعض المناطق التي تحيط بها من جبال ووديان، وبعد ذلك يستهلكون ما غنموه جراء تلك الغارات لأنهم كانوا يترصدون المناطق الخصبة من الجزيرة العربية .

1) أبي علي حسن بن رشيق القيراواني : العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ونقده، تح محمد بن محي الدين عبد الحميد، ط5، در الجيل، 1981م، ص265.

2) عروة بن الورد: الديوان، تح أسماء أبو بكر محمد، (د،ط)، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1998م، ص69.

هذه صورة موجزة عن حياة العرب في العصر الجاهلي في أرض الجزيرة العربيـــة، والتي تميزت بنوع من القلق والصراع مع الطبيعة القاسية، ومع المجتمع القبلي فهي أمة أرهقها السفر والترحال من مكان لآخر، وأثقل كاهلها القوانين والأعراف الجائرة، فكان لهذا أثر في خلق طائفة متمردة هم الصعاليك الذين كانوا في مواجهة دائمة مع كل عائق.

الفصل الأول :التمرد المفهوم والمظاهر.

أولا : التمرد .

1- مفهوم التمرد.

2- التمرد في التحليل النفسي .

3- أسباب التمرد.

ثانيا: الصعلكة كدليل ونتيجة للتمرد .

1- الصعلكة مفهومها

2- قيم الصعلكة

كان الشعر الجاهلي ترجمة للحياة الاجتماعية، والدارس لهذا النتاج يستطيع أن يتعرف على بعض ملامح المجتمع من خلال الشعر؛ لأن ما يقدمه الشاعر هو تصوير متميز لكل الظروف والأحوال التي تمر بها البيئة الجاهلية؛ بمعنى أن الإنسان أو الشاعر مرتبط بالجماعة أو القبيلة وطبيعي أن يكون شعره مرتبط بها على خلاف الشاعر الرافض للجماعة؛ لأن هناك طائفة عاشت في صراع خانق أفقدهم الإحساس بالأمن والاستقرار في معظم الأوقات لعدة أسباب على رأسها الفروق الطبقية، ما دفع بنفر منهم إلى الخروج عن القبيلة معلنين رفضهم لكل القوانين التي أفقدتهم حقوقهم، فكان في نظرهم لا بد من التمرد للتخلص من كل القيود والأغلال التي كانوا مكبلين بها . لهذا نجد أكثر المتمردين من "الصعاليك" الذين خرجوا عن القبيلة للبحث عن مكان يؤسسون فيه مجتمعا جديدا يحفظ لهم حقوقهم، وحرياتهم عكس القبيلة.

أولا : التمرد .

إن كلمة التمرد مصورة في أذهان الكثير من الناس بكثير من السوداوية، فهي تحمل في طياتها معاني التغيير والرفض العنيف لوضع ما، فعندما نسمع عن جماعة تمردت على نظام من الأنظمة مباشرة نحكم عليها بشيء من السلبية، غير أنه ليس كل تمرد سلبي، لأنه قد يحمل الكثير من التحولات والتغيرات الإيجابية، إذ يجد هذا المتمرد حياته قد تغيرت من السوء إلى الحسن.

1- مفهوم التمرد.

1-1- لغة :

- ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: المَرْدُ: التطاول بالكبر والمعاصي، ومنه مَرَدُوا على النفاق أي تطاولوا، ومَرَدَ على الشر وتَمَرَّدَ،أي عنا وطغى، وقالوا تَمَرَدَ هذا:أي جاوز حد مثله[1] .
- وفي القاموس المحيط: مُتَمَرِّدٌ أقْدَمَ، وعَتا، وهو أن يَبْلُغَ الغايَةَ التي يَخْرُجُ بها من جُمْلَةِ ما عليه ذلك الصِّنْفُ.[2]
- وورد أيضا في المنجد: مُرودًا:عَتا وعَصَا، وجَاوَزَ حد أَمْثَاله أَو بلغ غَايَة يخرج بهَا من جُمْلَتهمْ.[3]
- وفي المعجم الوسيط: مَرَدَ الْإِنْسَانُ مُرُودًا: طَغَا وَجَاوَزَ حد أَمْثَاله ، أَو بلغ غَايَة يخرج بهَا من جُمْلَتهمْ، مَرْدُ الشيء :لَيَنُهُ وصَقَلُهُ.[4]

قال تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ ﴾.[5]

1) ابن منظور : لسان العرب، تح رشيد القاضي، ط1، دار الصبح وايديسوفت، بيروت، 2006م، ج18، مادة (مرد).
2) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، (د،ط)، دار الميل، بيروت، (د،ت)، ج1، باب (مرد).
3) المنجد والأعلام، ط35، دار المشرق، بيروت، 1996م، باب (مرد).
4) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط،(د،ط)،دار الدعوة،تركيا،(د،ت)،ج1،مادة مرد.
5) سورة الحج، الآية 3.

- يقول المتنبي : [1]

إذا أنتَ أكْرَمتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ * وَإن ْأنْتَ أكْرَمتَ اللّئيم تَمَرّدَا**

بهذا فمعنى التمرد من الوجهة اللغوية يرد بين معاني الغنى والعصيان والخروج عن المألوف، وإخضاع للوضع الجديد الذي كان صاحبه قد تمرد من أجله.

1-2- اصطلاحا :

إذا انتقلنا إلى المفهوم الاصطلاحي، نجد أن هناك من جمع بين المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، وقيل أنهما يشتركان في معنى واحد، وأن الدلالة الاصطلاحية تتضمن الدلالة اللغوية.[2]

ونجد أن الكاتب والمفكر الفرنسي "ألبير كامي" أبرز من أعطى مفهوم للتمرد،حيث يقول :

- التمرد يقتضي الفردية، وهو يبدأ من "اللا" القائمة على "النعم".[3] بمعنى أن التمرد عنده يقوم على أساس المجاهرة في الرفض بقول "لا" مقابل "نعم" لأن هذا يعني رفض الوضع السائد حتى ينتقل إلى وضع آخر غيره، فهو إلغاء وفي الوقت نفسه إثبات .

ولقد وجد هذا المصطلح (التمرد) في العصور القديمة، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرأ من الشخص الذي تكثر أغلاطه وجرائره، لذلك تعلن في الأسواق، أو في مواسم الحج بأنها خلعت (فلانا)، وبهذا تكون قد قطعت كل صلاتها به لا يلحقها شيء من جريرته، فلا تطالب إذا اعتدي عليه. فعرف هؤلاء (بالخلعاء) مثل "قيس بن الحدادية"

---

1) إسماعيل بن عباد بن عباس المشهور بالصاحب بن عباد: الأمثال السائرة في شعر المتنبي، تح محمد حسن آل ياسين، ط1، مكتبة نهضة بغداد، 1995م، ص48.

2) سعيد مراد : الفروق والجماعات الدينية في الوطن العربي، (د،ط) ، عين الدراسات والبحوث، 1997م، ص94.

3) جون كروكشانك: ألبير كامي وأدب التمرد، تر جلال العشري ، (د،ط)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1986م، ص165.

الذي خلعته قبيلته خزامة بسوق "عكاظ" وأشهدت على نفسها بخلعها إياه، فلا تحتمل أي جريرة من جرائره، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه.[1]

فالإنسان خلال حياته اليومية يمارس مجموعة من النشاطات والسلوكات التي تتكرر بصفة دائمة، تجعله يشعر بالجمود من جهة، والتخلف من جهة أخرى، فيلجأ إلى التمرد ليغير ويجدد بما يوافق رؤيته وعصره، فهو خرق للنظم والعادات وزعزعة الأعراف. فالإنسان المتمرد يكون دائما في دور «المطالبة بوضع إنساني تكون فيه جميع الأجوبة إنسانية، أي مصاغة بشكل منطقي».[2]

ويحدث التمرد عندما يحبس الأهل ما كانوا يقدمونه لأبنائهم من إكرام ومعاملة حسنة لهذا يلجأ هذا الفرد إلى غايات أخرى، فيختار طريق التمرد والرفض بديلا عنهم، فكثير من المتمردين اختاروا طريق التصعلك والخروج عن القبيلة، لأنهم لم يخطر ببال أحد منهم أنه سيحظى بتلك المعاملة السيئة من طرف أفراد القبيلة، لهذا اختار التمرد والتصعلك بديلا، إيمانا منه أن أرض الله الواسعة كفيلة بتعويض الاحتياج والحرمان .

2- أسباب التمرد :

كثيرا ما نصف شيئا ما أو ظاهرة معينة أنها إيجابية أو سلبية، فالتمرد يبدو في ظاهره ظاهرة سلبية، لكن الحكم على أي شيء لا يكون إلا بعد دراسة الأسباب والدوافع لخلق هذه الظاهرة للحكم عليها، فالأسباب قد تكون قاهرة، خاصة إذا كانت في مجتمع ظالم مثل المجتمع الجاهلي، مما يجعل تشكيل جماعات رافضة لكل أنواع القهر والاستبداد أمرا حتميا ومن أسباب التمرد نذكر:

1) الأصبهاني: الأغاني، ط8، دار الثقافة، بيروت، 1990م، ج14، ص137.

2) حبيب مونسي: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى من المعيارية النقدية إلى الانفتاح القرآني المتعدد، (د،ط)، دار الغرب، وهران، 2010م، ص137.

2-1- الفقر :

كان العرب في عصر ما قبل الإسلام يسكنون أرض شبه الجزيرة العربية، وهي أرض عرفت بأنها شحيحة بمواردها، قاسية بظروفها وأحوالها، فقد تميزت بالقحط والجفاف في معظم أيامها، فكانوا يلجئون إلى الترحال طلبا للرزق، لضمان عيشهم، وهروبا من هاجس الفقر الذي ميز حياتهم البسيطة ولازمها، «فالبدوي والعوز صاحبان ألف كل منهما صاحبه ».[1] لذلك كانوا يعتمدون على تربية المواشي للعيش على لبنها ولحمها ووبرها.

والذي زاد من انتشار الفقر في هذا العصر هو التناقض الاجتماعي، إذ كانت القبيلة « تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها، والعبيد هم رقيقها المجلوب إليها من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة، والموالي وهم عتقاؤها، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائـــرهم وجناياتهم».[2]

وتتمتع القبيلة بنظمها السياسية وأعرافها وتقاليدها، يحكمها زعيم ذو مكانة، وإذا كان أفراد القبيلة يكنون له الاحترام ومتمسكون به، فهذا يعني أنهم بأمان واطمئنان، غير أن الشائع في عصر ما قبل الإسلام عن سيد القبيلة لجوئه لظاهرة الحمى، فمن حق السيد السيطرة على الأراضي التي تتوفر على متطلبات الحياة فيجعلها ملكه، ولا يجوز لغريب الاقتراب منها، وهذا حق مشروع له ولأمثاله فقط .[3]

وهذا يعني أن الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا واحتياجا، لأن الحق في التملك ليس للفقراء وإنما من حق أصحاب الجاه والسلطة، فلهم حرية التصرف في كل شيء وهذا ما خلق في نفسية الفقراء نوع من القلق والتوتر، ودفعهم للتشرد خارج القبيلة

1) عروة بن الورد: الديوان ، ص16.

2) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، ص67.

3) حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص)، ط1، مؤسسة المختار، 2001م، ص74.

وتفضيلهم لحياة التمرد على حياة الذل والحرمان داخل حيز ليس لهم فيه مصلحة، لأن التمرد ارتبط بالسلطة والفروق الطبقية التي كانت تعطي قوانين لا تخدم غير أصحابها على حساب الفقراء، ما دفع الكثيرين منهم للخروج والتصعلك .

فالإنسان يختار طريق التمرد من أجل تحقيق غايته المتمثلة في استرجاع إنسانيته التي سلبت منه، فمن حق الغني في المجتمع الجاهلي ممارسة كل ملذات الحياة من ترف ولهو مع النساء وشرب الخمر وغيرها، عكس الفقير الذي لا يملك غير المعاناة والحرمان والجوع.[1]

فلم يتمرد الإنسان إلا بعد يأسه من الحياة وأعبائها، فلم يستفد منها غير الفقر والقهر لأنه لم يكن ينتظر حياة الذل والمهانة. والطبقية هي الدليل على كل هذا ، لكن هذا لا يعني أن التمرد كان يمس جميع أفراد طبقة العبيد، لأن هناك من عاش مستسلما لكل المعاناة والاستهجان، والحرمان من أبسط الحقوق، كما أن الفقر لم يكن يمس طبقة العبيد فقط بل كان هناك أحرار فقراء ليس لهم صلة بالعيش الرغيد، غير امتلاك الحرية، وهو الفرق بينهم وبين العبيد .

أما المتمرد الرافض للفقر والحرمان فقد أعلن رفضه، فكان يقول الشعر ليعبر فيه عن الحياة الوضيعة التي كان يعيشها بعد تمرده وتحديه الفردي للجماعة لعله يصل إلى نتيجة، وهذا يعني أن المتمردين « يعملون على إصلاح المجتمع ولو بطرق قد تكون خاطئة أحيانا، مستعملين هذه الطرق، لما مسهم من ظلم المجتمع وأفراده».[2]

والصعاليك هم الأكثر رفضا لتلك الأوضاع، فخرجوا للعيش بين أحضان الصحراء في العراء، واتخذوا الجبال والكهوف مأوى لهم، لكن المعاناة من الفقر لم تنقص أو تخف

1) ينظر: هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام(دراسة وفق الأنساق الثقافية)، ط 1، دار الإيمان الرباط ، 2013م، ص95.

2) فدوى كرمو علي : الفقراء في أدب دوستويفسكي، رسالة ماجيستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010م، ص60.

أبدا، وقد جاء شعره تصويرا لتلك المعاناة والحرمان. يقول الشاعر الصعلوك "تأبط شرا":[1]

وَنَعلٍ كَأَشلاءِ السُمانى نَبَذتُها * خِلافَ نَدىً مِن آخِرِ اللَيلِ أَورِهمِ**

فهو يصف الحالة المزرية التي يمر بها فقد تمزق نعله، حتى أنه لم يعد يعتمد عليها كثيرا لأنها لا تحميه، واضطر إلى السير حافيا في المطر والندى والوحل.

كما جاء شعرهم أيضا تصويرا لتعاستهم وبؤسهم من الجوع الذي لا يفارقهم، فأخذوا يواجهون هذا الحرمان بصمت، لأن السبب الأول في هذه التعاسة طبقة الأغنياء والسادة التي كانت تسيطر على كل شيء، لذا كانت طريقة الصعاليك في العيش عن طريق السلب والغزو أحيانا. وبلغ من شدة الفقر والجوع أنهم كانوا يصابون بالدوار كما عبر عن ذلك الصعلوك المتمرد "السّليك بن السّلكة" يقول :[2]

وما نلتُها حتَّى تَصَعْلَكْتُ حِقبــــةً * وكدتُ لأسبابِ المنـــيّةِ أعرفُ**

ولما رأيتُ الجوع بالصَّيفِ ضَرَّنِي* إذا قمتُ يغشاني ظِلالٌ فأَسْدِفُ**

فهو يعاني الجوع لدرجة أنه إذا قام لحاجة رأى خيالات وأطياف وأصابه الدوار، فهو لم يستهلك كل ثروته إلا بعد هذه المعاناة التي مر بها في عز فصل الصيف فصل الخير. ولهذا ترك بعض رزقه لوقت الشدة .

وكما نجد تأبط شرا في موضع آخر يصف حالة الفقر والجوع لدرجة التصاق أمعاءه حتى برزت أضلاعه، فهو لا يملك من الزاد غير نعله، حتى ألف الوحوش وألفته يقول:[3]

قليل ادِّخــارِ الـــــزَّاد إلاَّ تعلَّــةً * فقد نشزَ الشُّر سوفُوا لتصق المِعــا**

1) تأبط شرا : الديوان ، تح عبد الرحمن المصطاوي، ط1، دار المعرفة ، بيروت، 2003م، ص62.

2) السليك بن السلكة: الديوان، تح سعد الضناوي، ط1، دار الكتب العربي، بيروت، 1994م، ص84.

3) تأبط شرا : الديوان ، ص34.

يبيتُ بمغنى الوحوشِ حتَّى ألفنهُ * وَيُصْبِــحُ لاَ يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعَا**

وهذا الفقر والجوع عاد على أجسادهم بآثار كانت بادية عليهم كاصفرار لون بشرتهم وهزال أبدانهم ونحولها. فنجد "تأبط شرا" يصف جسمه بأنه ليس فيه هيكل، لأن الجوع قهره وبلغ درجة أن أضلاعه أصبحت ترى، من شدة نحول جسمه واحتياجه. فقال أبيات عندما حاصره قوم هذيل في غار لهم، فصب لهم عسلا على الصخر لينزلق عليه حتى خرج سليما، فقال في ذلك : [1]

وَأُخرى أُصادي النَفسَ عَنها وَإِنَّها * لَمورد حَزمٍ إِن فَعَلتُ وَمَصدَرُ**

فَرَشتُ لَها صَدري فَزَلَّ عَنِ الصَفا* بِهِ جُؤجُؤٌ عَبلٌ وَمَتنٌ مُخَصَّرُ**

2-2- اللون (العرق) :

كانت الحياة في العصر الجاهلي ترتكز على بعض القوانين والعادات والتقاليد التي وضعها أسلافهم، كالفروق الاجتماعية بين العبد والسيد، والأبيض والأسود، هذا الفرق الأخير كان له حضوره طوال حياته من احتقار وتهميش، وغالبا ما يكون الأسود ابنًا لأمة حبشية ورث عنها سوادها، وأصبح يعامل بالمعاملة نفسها التي تعامل بها أمُه، فكان يعاني اغترابا نفسيا وهو داخل نظم القبيلة، فهو ابن أمة وزيادة على هذا فهو أسود. ما دفعه للخروج عن أعراف ونظم هذه القبيلة وتقاليدها وقسوتها.

وهذا الاستهجان والاحتقار بسبب اللون عانـــى منه طائفة من الناس حتى أصبحوا « يلقبون بالأغربة، تشبيها بالطائر الغراب الأسود، وقد سرى هذا اللقب خاصة على من سرى السواد إليهم من أمهاتهم الإماء، ولم يعترف بهم آبائهم العرب».[2]

1) تأبط شرا : الديوان ، ص31.

2) عبده بدوي: الشعراء السود خصائصهم في الشعر العربي،(د، ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص21.

فالاسم الذي كانت العرب تطلقه على عبيدهم السود الأغربة، كان يولد فيهم حساسية خاصة اتجاه هذه الكلمة سبب مأساته ومعاناته، لأن اللون الأسود عندهم له مدلولات متعددة فنجدهم تارة يفضلونه، لأنهم يحبونه في سواد شعر المرأة، وعينيها وحتى سواد اللثة وهو لون كثيرا ما يمدح به الشعراء محبوباتهم. وفي المقابل نجد أن كرههم للون الأسود يعادل حبهم للون الأبيض فهم يفضلونه في أشياء يمتدحون بها، لكن يكرهونه ويحتقرونه وينفرون منه، لأنه لون تتغير منه العين « فالأسود لون يثير الشؤم والألم غالبا، والأبيض يثير البهجة».[1]

إضافة إلى أنه لون يثير التشاؤم والخوف والحزن، فهو يرتبط بأشياء ينفر منها الإنسان دون سائر الألوان، لارتباطه بالليل وظلمته، والزفت والرماد الذي يتخلف من الحريق.[2]. كما ارتبط اللون الأسود بالموت والدمار والشر والمهانة، من جهة أخرى ارتبط بالوقار والتقديس في بعض الأحيان.[3]

واحتقار العرب وتشاؤمهم من هذا اللون هو ما خلق تناحر بين العبد الأسود والجماعة التي تحتقره لسواده، هذه الحالة النفسية ساهمت في خلق شخصية غاضبة متمردة على كل من رفضها واحتقرها، فالمتمرد يفضل حياة التشرد والشقاء على الحياة الوضيعة المهينة، لأنه يرى أنه قادر على الاعتماد على نفسه بعد انفصاله عن الجماعة بعيدا عن الإهانات والعبودية، والتعيير بسبب اللون والنسب، وكان أكثرهم من الشعراء الصعاليك .

وكان "عنترة بن شداد العبسي" أحد أغربة العرب الذين تمردوا بسبب اللون، رغم أن تمرده لم يكن ضد الجماعة وإنما كان من أجل اعتراف أبيه به، لهذا فهو ليس صعلوكا.

---

1) أمل محمود عبد القادر أبو عون: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات أنموذجا، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح ، فلسطين، 2003م، ص87.

2) أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، ص 200_205.

3) رياض عبد الفتاح : التكوين في الفنون التشكيلية ، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م، ص260.

وأغربة العرب ثلاثة كما جاء في الشعر والشعراء «عنترة وأمه زبيبة، خفاق بن عمير الشريدي وأمه تدبة، والسُّليك بن عمير السعدي وأمه السَّلكة».[1]

فاحتقار القبيلة لعنترة وتعييرها له بالسواد نتج عنه أنه تمرد على أبيه، فقد دخل في مواجهته، لأجل الحصول على الاعتراف، لأنه كان ابن سيد من أشراف عبس وهو « شداد بن قراد بن مخزوم بن عوف ...، وفي المقابل هو ابن الآمة الحبشية، فكانت نزعة التمرد لديه من أجل إبراز ذاته فهو أحد فرسان ودروع القبيلة بلا منازع»[2] .

يقول :[3]

يعيبون لوني بالسواد جهالـــة * ولولا سوادالليل ماطلع الفجر**

وانْ كانَ لوني أسوداً فخصائلي * بياضٌ ومنكَفيَّ يُستنز لا لقطْر**

وتوظيف العرب للون الأسود في أشعارهم رغبة منهم في تأكيد أن لعنة الغراب تكمن في سواده، وكأن هذه اللعنة حطت على الغراب فسودت لونه، ومازالت تنتقل منه إلى الناس فتندرهم بالرحيل والفراق، وتعطي شعورا بعدم الدقة في اللقاء مرة أخرى، فالشاعر يحس أن كل ما يفرق بينه وبين المحبوبة أسود .[4]

إلا أن الكثيرون من أمثال عنترة لم يستطيعوا الصبر أمام الأوضاع القاسية، فكان قلقهم يزداد يوما بعد يوم بسبب تعيير القبيلة لهم بالسواد اعتقادا منهم أن هذا اللون يجلب اللعنة .

هؤلاء الأغربة السود كانوا يتعرضون للتحقير من طرف السادة البيض، ذلك لأن العبد ملك سيده، ليس من حقه غير سماع الإهانات والقيام بكل الأعمال الشاقة، ويبرر

1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء : تح محمد شاكر، (د،ط)، دار المعارف القاهرة ، (د،ت)، ج1، ص251.

2) ينظر:عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي،(د،ط)، دار الوفاء لدنيا،(د،ت)، ص96،97.

3) عنترة : الديوان، دار صادر، بيروت ، ص155.

4) ينظر: محمد علي إبراهيم: اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، قراءة ميثولوجية، ط 1، جروس يرس، طرابلس، 2001م، ص180.

هؤلاء السادة موقفهم، بأن من حق الأبيض توجيه الإهانة للعبد الأسود، وهذا الأخير ما عليه غير تقبلها بصمت[1] .

هذه المعاملة القاسية تسببت في خروج المتمردين عن نظم القبيلة معلنين ثورة واختيارهم طريق التصعلك وحياة التشرد، لكن هذا لا يعني أن كل أسود مهّمش اختار الصعلكة، لأن هناك من ظل ساكتا يعيش من كل ما يترفع عنه الأغنياء البيض مع كل الأعمال الشاقة «فما يحسّن هؤلاء الأغربة أولاد الإماء السود إلا الحلاب والصبر».[2]

والصعاليك السّود لم يكونوا يتطيّرون من سواد بشرتهم وإنما قلقهم كان من معاملة كل إنسان أبيض لهم، فكل أسود يعرف أن هذا السواد الذي غطى جلده كان من الخارج فقط لأن داخله أبيض فهو يرى نفسه أبيض وليس أسود .

يقول عروة بن الورد :[3]

ولكنَّ صعلوكاً،صفيحة ُوجهِه* كضَوءِ شِهابِ القابس المتنوِّر**

مطلاً على أعدائـــه يزجـــرونه* بساحتهم، زجرَالمنيحِ المشهرِ**

وإن بعُدُوا لا يأمنون اقترابـَهُ * تشـّوف أهـــل الغائب المنتظّرِ**

فذلك إن يلقَ المنيـــّة يَلْقَهـــا * حميداً،وإن يَستَغنِ يوماً،فأجدِر**

فهذا الإنسان المشرق الوجه هو مصدر إزعاج بالنسبة للسادة، فالحياة عنده إما الحصول على ما يريد وإما الموت في سبيله.

لقد استطاع شعراء العصر الجاهلي المحرومين، سواء كانوا متمردين فقط أو متمردين اختاروا طريق الصعلكة إبراز مشكلة "الفقر" ومشكلة "اللون" والمعاناة التي عاشوها جراء هاتين المشكلتين، وما نتج عنها من بأس في المجتمع لذلك عبروا عنهما

1) ينظر: هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ص29.

2) يوسف خليف : الشعراء الصعاليك،ط3، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ص111.

3) عروة بن الورد: الديوان، ص69.

بشعر يطفح بالمرارة والأسى، فأعلنوا حربا على من ظلموهم من الأغنياء والسادة، فكانت أشعارهم دفتر يسجلون فيه الوقائع، إلا أن هذا يبقى قدرهم في الحياة، ونصيبهم فيها من الفقر واللون.

ونجد "خفّاف ابن ندبة" أحد أغربة العرب الذين عانوا من احتقار المجتمع القبلي لهم بسبب بشرتهم السّوداء التي كان لها نصيبها في الشعر أيضا.

يقول "خفّاف":[1]

كِلَانا يُسَوِّدُه قَوْمُه* عَلَى ذَلِكَ النسب المظلم**

لقد كان هذا الشاعر المتمرد ابن أَمَة سوداء ورث عنها سوادها وكثيرا ما كان يعيّر بسبب وضاعة نسبه وسواد لونه، حتى أصبح "خفّاف" يرى هذا السّواد حتى في دَمه وهذه المعاملة القاسية هي التي دفعته إلى التّمرد والخروج إلى قفر الصحراء مع رفاقه الصعاليك الذين اختاروا حياة التّشرد بعيدا عن كل ضغط.

« فالإحساس باللّون كان حادا عند الشعراء السود قبل الإسلام، ذلك لأنهم كانوا طبقة مهانة ومطحونة ولأنهم كانوا يذادون بالعنف مرة وباللين مرة أخرى... وهكذا عاشوا على هامش هذا المجتمع طبقة فقيرة مهانة».[2]

كل هذه المعاناة والحياة البائسة نجد "السّليك بن السّلكة" قد عاشها وذاق مرارة العنف والاحتقار، لأنه كان من أغربة العرب المهمّشين أيضا، ولقد كان يعذّبه هذا السّواد بسبب منظر خالاته السّوداوات اللّواتي كُنّ يقُمن بعملية الحَلْب التي كان الأحرار يعيّرون بها، لأنها عمل الفقراء فقط وهو أمر شيّب رأسه.

1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص341.

2) عبده بدوي: الشعراء السود، ص261.

يقول: [1]

أَشَابَ الرَّأسَ أَنِّي كُلّ يَــومٍ * أرَى لِي خَالَةً وَسطَ الرِّجَالِ**

يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلقَينَ ضَيماً* وَيَعجزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مَالِي**

ويقول :[2]

هزئت أمامة أن رأت لــي رقــةً * وفماً بــه فقــم وجلــد أســود**

فالمرأة التي تعلّق بها أصبحت تهزأ به وهي ترى ما عليه من نحول جسمه من خلال بروز فكّه الأسفل وسواد لونه.

لقد انعكست عقدة اللون ومعاناة الأغربة السّود في الحياة على أشعارهم، فغلبت عليها الذاتية أو الأنا بدل الجماعة لعدم وجود عصبية تربطهم بالجماعة، والتي حلت محلها عصبية المجتمع الجديد الذي تألّف من الصعاليك الخارجين عن مجتمعاتهم ومن الطبيعي أن تكون هذه هي النتيجة بسبب المعاملة القاسية.

3- التمرد في التحليل النفسي :

الإنسان بكونه يملك ملكة العقل،فإنه لا يلجأ إلى أي تصرف طائش إلا في حالة ما أحس فيها بضيق في نفسيته، ولا ملجأ يهرب إليه لإيجاد راحته النفسية، ولهذا فهو يعاني حالة نفسية أساسها الشعور بالاغتراب، تناولها العديد من الدارسين بالتحليل في الشخصية المتمردة .

وهذا الإنسان في اتصال دائم مع عناصر البيئة، وأثناء احتكاكه وتفاعله معها يؤثر ويتأثر، فهو يعيش حالة نفسية نتيجة الضغوطات التي تحدثها هذه العناصر المختلفة [3].

1) السّليك بن السّلكة : الديوان، ص89.

2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3) سعد عبد الرحمن : السلوك الإنساني ، ط3، مكتبة الفلاح، 1983م، ص46.

والفرد في حالة ما إذا تعرض لأي قوة أو ضغط نفسي، فإنه يصبح عدواني ورافض لأي شيء لا يتوافق مع رغباته وميولاته، لذلك فهو يطالب بحقوقه المسلوبة،لأن تفكيره ينحصر في المعارضة والتجاوز لكل ما هو سائد لا يرغب فيه.

وإذا كان الإنسان يطمح إلى تحقيق هدف ما، أو إشباع رغبة من رغباته التي يراها هو ضرورية في حياته، وأثناء محاولته لتحقيقها يتلقى إهانة أو رفضا، فإنه مباشرة يصاب بنوع من الإحباط النفسي والقلق،لذلك يندفع إلى التمرد وإعلان رفضه لهذا الوضع بعدوانية.[1]

والتمرد في مجمله يكون ضد بعض الأنظمة والعادات والأعراف، فلا يحدث هذا إلا إذا أحس الفرد أنه يعيش في مجتمعه وكأنه غريب بين أهله وأفراد هذا المجتمع بعد أن ظلم وسلبت منه حقوقه،ولهذا فهو بعد أن يمر بهذه المعاناة فإنه يلجأ إلى سلك طريق تخرجه من ظلمة القهر والاستعباد، وكسر كل النظم، لأجل استرجاع كرامته.

1) شفيق رضوان : علم النفس الاجتماعي، ط1، المؤسسة الجامعية، 1996م، ص97.

ثانيا : الصّعلكة كنتيجة للتمرد.

1- مفهومها :

1-1- لغة :

« الصَعْلُوكْ هو الفقير الذي لا مال له. تَصَعْلَكَتْ الإبل: إذا خرجت أوبارها وانجردت ورجل مُصَعْلَكْ، فالتَّصَعْلُكْ بمعنى الفقر .

يقول حاتم الطائي :

غَنِيْنَا زَمَانًا بالتَّصَعْلُـــكِ وَالغِنَى * فَكُلًّا سَقَـــــــانَاه بكأْسَيْهِما الدَّهْرُ**

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَـــةٍ * غِنَانَا، ولا أزْرَى بأحْسَابِنَا الفَقْرُ»** [1]

« والصُعْلُوك الفقير، وهو أيضاً المتجرد للغارات».[2]

فالصعلكة في معناها التجرد من المال، الفقر من العوامل الأساسية التي تدفع الإنسان إلى الصعلكة والتلصص وقطع الطريق، والصعلوك بعد سَلكه لهذا الطريق يكون قد اتّخذ من التلصص مهنة يرتزق بها في حياته . جاء في الصّحاح : « ذؤبان العرب صعاليكها الذين يتلصّصون».[3]

وبهذا فإن لفظة الصّعلكة نجدها قد تردّدت في كثير من المعاجم والكتب، وهي تصب في معنى واحد وهو الفقر والتجرد من المال، لأنّ الإنسان بعد تصعلكه نتيجة هذا العامل يخرج إلى القفر، فيعيش عيشة الجائع الهائج، و يتخذ بعد ذلك مهنة السرقة والتلصّص أسلوبا في الحياة .

1) ابن منظور : لسان العرب ،تح خالد رشيد القاضي، ط1، دار الصبح وإيديسوفت، بيروت، ج7، مادة (صعلك).

2) أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب، ص565.

3) ينظر : يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص25.

1-2- اصطلاحا :

الصعلكة ظاهرة اجتماعية عرفت في العصر الجاهلي، وهي طائفة تمرّدت على العرف القبلي واتّخذت الجبال والكهوف مأوى لها .

ولقد أخذت كلمة صُعلوك تدور حول معنيين : المعنى الأول والمتمثل في الفقر، أما المعنى الثاني فيدل على الطّغيان والظلم.[1]

والصعلكة تبدأ برفض هؤلاء الصعاليك لكل النظم والتشكيلات الاجتماعية أو القبلية بغرض التّغيير والبحث عن نظم أخرى عادلة، لأن تمرد أي إنسان لا يكون إلاّ لسبب واحد وهو رفض الذّل والهوان الذي يسلب الإنسان إنسانيته وكرامته .

« إنها دعوة تحريض من أجل إعادة توزيع الثروة، بحيث يتوفر لكل إنسان ما يسد حاجته اليومية بكرامة، ودون إذلال وامتهان وبيع ضمائر».[2]

فالمال في المجتمع الجاهلي يعطي صاحبه الحماية والقوة والاستعلاء النفسي، أما الفقر فيعطي صاحبه الذل والإحباط والخضوع للآخرين، وهو المشكل نفسه صادفته طائفة من الناس وكان سببا في تصعلكها وتمرّدها « والصعلكة ليست ظاهرة طارئة على الحياة الاجتماعية وإنما ولدت بشكل طبيعي لتعّبر عن التناقض الكامن في المجتمع العربي وتنبني عن تردي الواقع اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا».[3]

فالصعاليك رفضوا كل أعراف وتقاليد القبيلة ونظمها القائمة على القهر والطّغيان بغرض تحقيق التكافؤ في الحياة بإعطاء كل إنسان حقه، لكن لا يعني أن جل الصعاليك فقراء كعروة بن الورد مثلا.

---

1) ينظر عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص27.

2) حسن جعفر نور الدين: موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، (د،ط) ، دار رشاد برس، بيروت ، ص359.

3) ضياء عني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، ط1، دار حامد، عمان، 2009م، ص17.

فقد قيل أن "امرئ القيس" غزا ثائرا بأبيه وقد جمع جموعا من حَمْيَرْ وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها.[1]

ومن الواضح أن من استعان بهم امرئ القيس ليسوا فقراء معدومين، وإنما المقصود هنا هم الفقراء الذين تطورت حياتهم وأصبح تشابه بين حياتهم وحياة الذئاب .

والصعلكة دليل على تمرد بعض أبناء القبيلة على البناء القبلي السائد، والمشكلة التي عانى منها الصعاليك ليست مشكلة القبيلة في حد ذاتها وإنما هي مشكلة النظام نفسه . ولقد حركتهم بغرض تحقيق العدل في الحياة والعيش بكرامة في وسط هذا المجتمع الظالم الذي يؤمن بشعار البقاء للأقوى.[2]

وهذا ما أوجد بين الصعاليك إحساس مشترك بأنهم مجتمع مصغر يخلو من العصبية القبلية التي تمثل قوام المجتمع الجاهلي، ولقد نبذوا وزهدوا الحياة في هذا المجتمع و كانت غايتهم التخلص من العبودية والجوع بحثا عن الحياة الكريمة. إلا أن هذا المجتمع الجديد خيب آمالهم من هذه الناحية فقد ظل الجوع مرافقهم. ورغم تعدد الصعاليك واختلاف قبائلهم إلا أن الأسباب التي جمعتهم واحدة.

ومن أشهر الصعاليك في الجاهلية « (عروة بن الورد)، و(تأبط شرا) و(الشنفرى) و(السليك بن بن السلكة)، و(عمرو بن براقة)، ...وعرفوا جميعا بسرعة الحركة والخفة والعدو والخبرة بدروب الصحراء ».[3]

والحياة التي كان يعيشها هؤلاء الصعاليك كانت حياة شقاء في طبيعة خشنة قاسية محفوفة بالمخاطر، فقد كانوا كثيرا ما يمضون أياما بلا طعام يواجهون قهر الجوع والعطش الذي لا يحتمل، ورغم هذه المعاناة إلا أنهم كانوا يتمتعون بقوة صبرهم أمام هذه الشدائد، لأنهم في بيئة صحراوية جبلية تتطلب قوة الصبر والجلد في أبنائها.

---

1) ينظر: يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص25.

2) ينظر: عبد العزيز نبوي : دراسات في الأدب الجاهلي، ط3، مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م، ص161.

3) عروة بن الورد: الديوان ، ص35.

ولقد اعتاد الصعاليك المعاناة في ظل الظروف والضغوط الممارسة عليهم داخل القبيلة قبل تصعلكهم، لكن لم يعتادوا العيش بعيدا عن الأهل فنتج عن ذلك إحساسهم بالغربة، وهذه الأخيرة كانوا يعانون منها أكثر وهم داخل القبيلة لأنه أشد وأقسى .[1]

وهذا "تأبط شرا" يصف معاناته بسبب الغربة والتشرد، فهو يعيش حياة مليئة بالمخاطر والمغامرات في قفار الصحراء وبين وحوشها يواجه شبح الجوع الذي كان يطارده وملازما له مثل ظله، فهو يتوقع الموت في كل حين.

يقول : [2]

قليل ادِّخــار الــزَّاد إلاَّ تعلَّــةً * فقــد نشــزَ الشُّرسوفُ والتصق المِعا**

يبيتُ بمغنى الوحش حتَّى ألفنهُ * وَيُصْبِــحُ لاَ يَحْمِــي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعَا**

على غرةٍ أو نهزةٍ من مكانسٍ* أطــــالَ نِــزالَ القومِ حتّــى تسعسَعا**

فقد تحدث الشعراء عن المغامرات التي عاشوها في حياتهم من تشرد وفرار، وسطو على أملاك الناس بأسلوب مثير في شعرهم .

وكل فرد يرفض هذا المجتمع القبلي الجاهلي الذي يهضم حقوق الفقير ويجعله عبدا لدى هذه الجماعة الظالمة، فإن مصيره المحتوم هو الطرد خارج القبيلة، أو الخروج والانفصال عنها بإرادته وليس له حل غير سلك طريق التشرد والصعلكة، وامتهان كل أساليب السطو وقطع الطريق وغيرها من الأساليب،لأن جبروت وطغيان طبقة السادة أدى إلى إلحاق الضرر بأكثرية الأفراد، وهو ما جعلهم يسعون إلى تحقيق بعض مصالحهم الشخصية.

1) ينظر: يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ط 1، دار مجدلاوي، عمان ، 2008م، ص40.

2) تأبط شرا : الديوان ، ص34.

فقد كانت الصعلكة سببا في التغيير من الأسوء إلى الأحسن والوصول إلى حياة أفضل يسودها العدل والحرية والتطور بدل الظلم والعبودية .

2- قيم الصعلكة:

إن الحياة التي كان يعيشها الإنسان الجاهلي داخل النظام القبلي، جعلته أكثر حساسية وقلقا من غيره، لأسباب زادت من حدة قلقه جعلته يفقد صبره من تلك المعاملة الهمجية، وهو ما خلق شخصية الصعلوك الذي يطمح إلى إثبات ذاته من خلال قيم بعضها كانت فطرة فيه وبعضها الآخر اكتسبها من خلال تجاربه في الحياة.

2-1- الحرية والمساواة:

« إن المعنى الصريح والواضح للحرية في الكلام الشائع، يكمن في كونها قوة وفرصة أو منفعة، يمكن أي شخص أن يفعلها حسب رغبته، وبمعنى آخر، فإن كان المتحرر من العوائق يتمثل في طريق العمل أو تسيير مجموعة من الأمور في أي شيء كما يريد، وبذلك فهي تتعارض مع الإكراه، أي حمل شخص على فعل شيء لا يرغب فيه فعله، كما أنها هي التقيد، أي منع شخص من التصرف حسبما يشاء، فالشخص الحر هو غير المكره والمقيد في تصرفه»[1].

ونحن بصدد التعرف على المفهوم العام لهذه القيمة في المجتمع الجاهلي، الذي تميز بأنه مجتمع طبقي يؤمن بالفروق الاجتماعية، ولم تكن الحرية من نصيب الجميع في هذا المجتمع الظالم، لأن القوانين القبلية السائدة لم تكن في مصلحة الجميع، فكان هناك تناقض له أثره السلبي على طبقة العبيد فقط، ومن هذه الفئة نفسها كان منها الرافض ومنها من سكت واحتمل الظلم والاضطهاد، «وكان الشاعر يتحدى الإطار العام للمجتمع الجاهلي من

1) محمد بهاوي: في فلسفة الشخص نصوص فلسفية مختارة ومترجمة،(د،ط)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012م، ج5، ص70.

خلال الاعتراض على الطبقية التي تترك الفقراء في العراء وتغرق الأثرياء في الثراء وقد انعكس هذا الاتجاه شاملا وحاسما في مدرسة الصعاليك التي كانت تسعى لوضع تصور اجتماعي يرتكز على العدالة بين الناس، وكانوا ينفذون هذا التصور من خلال شعرهم وفروسيتهم وغزواتهم، وهذا الاتجاه كان يسعى لوضع إطار للحرية يشمل المجتمع كله».[1]

هذا التحدي الذي قام به الصعاليك دليل على الحرمان الذي كان يعاني منه كل فرد منهم، فكان في نظرهم لا بد من الخروج عن هذا المجتمع المليء بالتناقضات لتحقيق الهدف الذي أصبح بالنسبة لهم حلما يبحثون عنه بين فلوات الصحراء الموحشة، وهذا لم يكن ليتحقق إلا بالخروج عن الجماعة لإثبات ذواتهم الفردية وتحقيق الاستقلالية بعيدا عن كل القيود،«ليقيموا لأنفسهم "مجتمعا" فوضويا شريعته "القوة" ووسيلته "الغزو والإغارة" وهدفه "السلب والنهب"، ووجدوا في الصحراء الفسيحة الواسعة التي لا تقيدها قيود، ولا تحد من حريتها حدود، ولا يستطيع قانون أن يخترق قطاعها ليفرض سلطانه عليها، مجالا لا حدود له ... حيث يحيون حياة حرة متمردة تسودها العدالة الاجتماعية وتتكافأ فيها فرص العيش أمام الجميع »[2].

والحرية الاجتماعية هي التي عبر عنها الشعراء الصعاليك، لأن هناك فرق بين الفقير الحر والغني الحر، أما الفرق الشاسع والأكثر وضوحا هو الفرق بين الفقير المستعبد والغني الذي يتمتع بكل الصلاحيات، وهذا ما خلق نوع من المعاملة القاسية التي تمارس على هذا الفقير الذي لم يستطع أن يتمتع بأدنى الحقوق، بل هو في نظرهم شر الناس، كما عبر عنه "عروة بن الورد".

1) محمد إبراهيم أبو سنة: دراسات في الشعر العربي، ط2، دار المعارف، (د،ت)، ص9.

2) حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ط3، دار الميل، بيروت، (د، ت)، ص55.

بقوله : [1]

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي * رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ**

وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم * وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ**

وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ * حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَغيرُ**

وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ * يَكادُ فُؤادُ صاحِبُهُ يَطيرُ**

قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ * وَلَكِن لِلغِنى رَبٌّ غَفورُ**

فالمجتمع الجاهلي لم يكن يؤمن بالمساواة وتوزيع الثروة بالتساوي، بل كان الحظ والغلبة للقوي على الضعيف والغني على الفقير، هذا الأخير ليس من حقه غير الخضوع والتزام الصمت، وهو إنكار وتهميش من الجماعة للفرد، هذا الأخير يقدر قيمة المساواة وتحقيق الحرية ويرفض الظلم كلّ الرّفض،« لذا كان تصورهم للعدل متلازما ومندمجا في مفهوم الحرية، وأي تصور إنساني معاصر لا يستطيع أن يفصل بين العدل والحرية بل إننا لا نجد قيمتين مرتبطتين عضويا ومنطقيا كما ترتبط هاتان القيمتان».[2]

لهذا نجد في سيرة "عروة بن الورد العبسي" أنه كان يكنّى بعروة الصعاليك، لأنّه كان يجمعهم فهو ليس مجرد متمرد. بل باحث عن العدالة والمساواة وطامحا لتحقيقها، فكان يغزوا وينهب الأغنياء ليسد جوع الفقراء، وبهذا يكون قد قدم للفقير ولو جزءا من الرفاهية، لهذا نجده يدعوا للسلب والنهب لأن هذا حقهم من الأغنياء.

يقول: [3]

أَقيموا بَني لُبنى صُدورَ رِكابِكُم * فَكُلُّ مَنايا النَفسِ خَيرٌ مِنَ الهَزلِ.**

كما أن هؤلاء الصعاليك المتمردين كانوا يقتسمون كل غنائمهم بالتساوي دون أن ينسوا حق المحتاجين من القبائل التي جاء كل واحد منها، لأنهم كانوا من قبائل متفرقة

1) عروة بن الورد: الديوان، ص79.

2) محمد إبراهيم أبو سنة: دراسات في الشعر العربي، ص10.

3) عروة بن الورد: الديوان، ص89.

وهذا التقسيم المتساوي جاء نتيجة إحساسهم بمرارة المعاناة التي عاشوها في قبائلهم والتي يعيشها هؤلاء المهمشين.

وعليه يمكن القول أن الحرية تعني العيش باستقرار وهدوء « بمقدور الإنسان أن يكون حرا دون أن يكون عظيما، لكن ليس بمقدور أي إنسان أن يكون عظيما إذا لم يكن حرا»[1].

فالحرية هي التي تضمن العظمة فهي أسبق، لأن العظمة تأتي بعد أن يضمن الإنسان حريته « ومن لا سلطة له لا حرية له، ولذا فالحرية هي عمل نقدي متواصل على الذات، يتغير به المرء عما هو عليه، بالكد والجهد... والتجاوز أو الصرف والتحول »[2] وعلى هذا الأساس تكون الحرية، فمن أجل تحقيقها يلجأ الإنسان إلى ما لم يتعود على فعله.

2-2- الشجاعة:

عاش العربي في عصر ما قبل الإسلام في الصحراء الموحشة، وامتزج بها امتزاجا لا يستطيع الفكاك عنها، فليس فيها ما يوفر لهم العيش الرغيد، لذلك فإن ابن هذه الصحراء لم يكف يوما عن السعي في سبيل ضمان عيشة هادئة، فلم يستسلم للمشاق والصعاب وأصبح يستقبل المخاطر دون أن تحدث في نفسه رهبة، حتى صار من أكثرهم احتمالا لما لا يطاق، وهي الصفات التي تتطلبها الشجاعة.

هذه القيمة كان لها حضورها في الشعر الجاهلي لأنها صفة لازمة في الجزيرة العربية التي كثرت فيها الحروب والنزاعات لأتفه الأسباب، وكثيرا ما يحتكمون إلى السلاح وخاصة استعمال السيف، هذا الأخير يتطلب القوة والعزيمة، والإرادة وسيادة

1) على أحمد سعيد أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ط3، دار الدعوة، لبنان، 1997م، ص82.

2) على حرب: الإنسان الأدنى أمراض الدين وأعطال الحداثة، ط2، دار الفارس، لبنان، 2010م، ص259.

الرأي، والفارس الشجاع في الحروب لا بد أن يكون على دراية، بالوقت المناسب والخروج من المعركة.

« إلى جانب الفروسية العربية نجد نوع آخر وهو فروسية انتماء ونظم طائفة الشعراء الصعاليك والمتمردين، الذين رفضوا كل ما يربطهم بأمور القبيلة بعد أن فقدت إحساسها بالانتماء أو العصبية التي تحكمه لقبيلته، فهي ثورة لتحقيق المستحيل وإثبات الذات الفردية، وهذا فإن دل فإنما يدل على البطولة والشجاعة في تحدي الجماعة» .[1]

فالشجاعة والفروسية هي كل ما تتطلبه الحياة في الصحراء مع وحوشها والأعداء الذين يتهددون للحرب لعدة أسباب ولو كانت تافهة،« لقد عاش الصعاليك حياة خوف وفزع ووحشة واغتراب يجوبون القفار وأيديهم على سيوفهم فوق الغارة والغدر ووحشة الصحراء، محرومون من الألفة والأمن لا أهل ولا أنيس غير حيوان البر».[2]

فالحياة التي عاشوها هي حياة شقاء ومغامرة لا تعرف اليأس أبدا فهم في تأهب وإقدام على الخطر وصده عنهم، لأنهم قبل تمردهم كانوا يعرفون بأخطار وأهوال الصحراء،« فالتمرد عندهم ليس تمردا شاردا بل هو تمرد شجاع يتحلى أصحابه بأقصى درجات الشجاعة والتي تمكنهم من زعزعة التقاليد القبلية ».[3]. فتمرد هؤلاء الصعاليك يعني تحدي الفرد للجماعة ودفاع عن الإنسانية المهمّشة وقهر من قهروهم بالمثل « فالفروسية هي التمرد ضد العالم، وغايتها إثبات الوجود والعيش بامتلاء »[4].

وكان الصعاليك الفرسان يفتخرون بشجاعتهم وفروسيتهم التي كانوا يتمتعــون بها، دون غيرهم فيقول في ذلك "تأبط شرا" الذي أصبح شديد التلاحم مع الوحش، غير أنه

1) على أحمد سعيد أدونيس: مقدمة الشعر العربي، ص19.

2) يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ط 1، دار مجدلاوي، 2008م، ص40، 41.

3) هاني حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ص140.

4) علي أحمد سعيد أدونيس: مقدمة الشعر العربي، ص29

يفضل هذه الحيـــاة المليئة بالمخاطر على الحياة التي يحياها البعض المليئة باللهو والكسل. يقول:[1]

يبيتُ بمغنى الوحش حتَّى ألفنهُ * وَيُصبْـــحُ لاَ يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعَا**

علـــى غرةٍ أو نـهزةٍ مـــن مكانسٍ * أطـــــالَ نِـــزالَ القومِ حتّى تسعسَعا**

وَمَنْ يُغْرَ بِالأعْـدَاءِ لا بُدّ أنَـــــــهُ * سَيَلْقَى بِهِمْ مَنْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ مَصْرَعَا**

ويحاول أيضا الشاعر الصعلوك "عروة بن الورد" أن يرسم صورة الفارس المقدام ويظهر شجاعته ويثبتها، ويفضح غيره، لأنه جبان خاضع، وهذا الصعلوك الشجاع هو الذي تحدى قبيلته وعاملها بمثل ما عاملته هي من احتقار واستهجان.

يقول:[2]

إذا قيلَ يا اِبنَ الوَردِ أَقدِم إِلى الوَغى * أَجَـبتُ فَـلاقاني كَـمِيٌّ مُـقارِعُ***

بِكَـفّي مِـنَ المَأثورِ كَالمِـلحِ لَونُـهُ * حَديثٌ بِإِخلاصِ الذُكورَةِ قاطِـعُ***

فَـأَترُكُهُ بِـالقـاعِ رَهناً بِـبَـلـدَةٍ * تَـعاوَرُهُ فـيها الـضِـباعُ الخَوامِعُ**

مُحالِفَ قـاعٍ كانَ عَـنـهُ بِـمَعـزِلٍ * وَلَكِنَّ حَيـنَ المَرءُ لا بُـدَّ واقِـعُ**

فَـلا أَنا مِمّا جَرَّتِ الحَربُ مُشـتَـكٍ * وَلا أَنا مِمّـــا أَحـدَثَ الدَهرُ جازِعُ**

وَلا بَصَري عِـنـدَ الهِياجِ بِطامِـحٍ * كَأَنّي بَعـــيرٌ فارَقَ الـــشَولَ نازِعُ**

---

1) تأبط شرا: الديوان، ص34،35.

2) عروة بن الورد: الديوان، ص81.

* الوغى : الحرب الضروس .

* الذكورة : السيف الأبيض اللون، سيف ذكر.

فهو الفارس المقدام الذي يكون مستعدا بعدته لا يخشى شيئا، وهو يريد أن يتميز عن غيره بهذه الشجاعة والبسالة على غيره ممن لا يمتلكون هذه القدرة في الإسراع إلى القتال مثله.

فقد استطاع الصعاليك الفرسان تحدي كل الصعاب والحواجز، ودليل هذه الشجاعة أنهم كانوا أصحاب غزوات وغارات بلا منازع، يتربصون بالقوافل التجارية أو يقومون بالإغارة على أحد القبائل التي تَميَّزَ سيدها بالبخل كما كان يفعل "عروة بن الورد".

ومن المواضيع المثارة في شعرهم هو التغني والفخر بهذه الشجاعة، ووصف السلاح، ووصف الفرار وسرعة العدو.

فالسلاح عدة المقاتل التي تكمّل قوته الجسدية، والعرب كانوا يهتمون بالسلاح بشكل كبير ويحبون اقتناؤه، لأنهم في بيئة تقدّر منفعته في الحرب أو الصّيد، والفارس لا بد أن يكون متمرّسًا في استعمال السيف والرمح، والقوس والسهام ليرمي بها.

وكان الشعراء يعرفونها بما يحبونه وهو المرأة .فيقول "الشنفرى" في ذلك: (1)

إذا زَلَ عنها السَّهْـمُ حَنّـتْ كأنّـها* مُـرَزّأةٌ عَجْلَـى تُـرنُّ وَتُعْـوِلُ**

فنظرة محبوبته يُحدث أثرا قويا في نفسه كما تحدثه السهام، والرمح وسمرته تشبه المحبوبة في محبوبها.

ويقول "تأبط شرا": (2)

فأَصبحت الغُولُ لي جـارةً * فيـا جارتا لك ما أَهول**

إذا كـــلأ همي تهب الصف * فخـذ لم أره صيقـــلا**

1) الشنفرى: الديوان، تح إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، ص60.
2) تأبط شرا: الديوان، ص 48، 49.

فطالبتُهـــا بُضْعَها فالتـوت * عليَّ وحـــاولتُ أن أَفعلا**

وهي صورة توحي بشدة حبة وإعجابه بسيفه، فهو أنيسه وقت الشدة في الدفاع عن نفسه.

والعيش في قفار الصحراء الموحشة المحفوفة بالمخاطر، ألزمت على العربي أن جعل السّلاح أنيسه وحاميه في كل وقت ومن كل خطر يواجهه، لأنه دائما يجعل نفسه مستعدا لهذا الخطر، فيكون في استعداد دائم لضمان بقائه حيا وإثبات ذاته وشخصيته المتمردة، وحتى يبرهن للآخر(الجماعة أو القبيلة) أنه ليس في حاجة لحمايتها.

ويصف "الشنفرى" صوت القوس بدقة فهذا القوس في بداية الرمي يشبه صوت الصياح العالي، بعدها يصبح شبيها بصوت أنين المريض أو الجريح، لأن صوته يكون خافتا من شدة الوجع فيقول: [1]

وقاربتُ من كفِّيَّ ثم فَرَجتهـــا * بنزع إذا ما استُكرِه النزعُ مُخْلِج**

فصاحت بكفي صيحةً ثم رجَّعَت * أنينَ الأمِيم ذي الجراح المُشجَّع**

إضافة إلى اعتزازهم بالخيل وارتباطهم الشديد بها، فقد كان لها حظها هي الأخرى في شعرهم لأنها هي التي تحميه، وبها يدافع عن نفسه. يقول "عروة بن الورد":[2]

كليلةِ شيباء التي لستَ ناسياً * وليلتِنا، إذ منّ ما منّ قِرمِل**

2-3- الكرم:

الكرم هي الصفة التي لا بد أن يتحلى بها الفارس، وهي خصلة من خصال العربي في الجاهلية، والتي نمت معه بشكل طبيعي بين أحضان الصحراء، فقد كان العرب

1) الشنفرى: الديوان، ص40.

2) عروة بن الورد: الديوان،ص93.

يجودون بأعز ما لديهم وأشهر من تميز بهذه الصفة الحميدة "حاتم الطائي" الذي ظل اسمه خالدا يشهد به التاريخ.

والكرم في الجاهلية كان ذا طابع إنساني أصيل وهدف الكريم إنقاذ الجائع الهائم في الصحراء، لكن تحول بعد ذلك فأصبح وسيلة لبلوغ المجد والشهرة لا غير، فالكريم لا يتكرم لأجل غاية إلا من أجل هذه الصفة فحسب.[1]

ولم تقتصر صفة الكرم داخل نظام القبيلة، لأن الصعاليك أيضا تميزوا بهذه الصفة الحميدة، لأن خروجهم لمواجهة الجوع والتشرد خارج القبيلة جعلهم في حاجة ماسّة إلى التلاحم ومساعدة بعضهم بعضا خاصة في أوقات الشّدة، وكان وسيلتهم لضمان حياتهم من الهلاك نتيجة الجوع أن اتّخذوا من السّلب والنّهب والإغارة وسيلة يجلبون الرّزق بها، فقد كان الكرم عند الصعاليك « ذو طابع إنساني يهدف إلى سَدّ حاجة الفقير وإزالة فقره وفاقته وإنقاذه من الفقر والجوع أولاً ومن الازدراء والتهميش والإقصاء ثانيًا، فهو كرم لتحرير الفقير من دون أي مقابل».[2]

يقول "عروة بن الورد":[3]

إِنّـــــي اِمرُؤٌ عافى إِنائِيَ شِــركَةٌ* وَأَنــتَ اِمرُؤٌ عــافي إِنائِكَ واحِدُ**

أَتَهزَأُ مِنّي أَن سَمِنت وَأَن تَــرى * بِوَجهي شُحوبَ الحَقِّوَالحَقُّ جاهِدُ**

أُقَسِّمُ جِسمي في جُسومٍ كَثيــــرَةٍ* وَأَحسو قَراحَ المــاءِ وَالماءُ بارِدُ**

فكرم "عروة" بلغ لدرجة أنه قادر على صد جوعه وجوع الفقر الذين ربما يطرقون بابه فهو يبجل بغيره، لأنه يحسب حساب الزائر أو المحتاج من الطعام، وقد أقسم أن

1) ينظر: هاني حمزة: شهر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ص173.

2) هاني حمزة: شهر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، ص173.

3) عروة بن الورد: الديوان ص61.

يحتسي قراح الماء ويترك اللّبن أو الطّعام الآخر لغيره، حتى وإن كان في أعزّ الشّتاء الذي يكون فيه الماء أشدّ برودة، فهو راض حتى وإن أصبح جسمه هزيلا وسمن ضيوفه.

وفي أبيات أخرى أنه مستعد لأن يتقاسم مع ضيفه كل شيء حتى فراشه وبيته. يقول في ذلك:[1]

فِراشي فِراشُ الضَيفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ* وَلَم يُلهِني عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ**

أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَديثَ مِنَ القِــرى* وَتَعلَم نَفسي أَنَّهُ سَوفَ يَهجَعُ**

صحيح أن "عروة بن الورد" كان من بين الصعاليك المشهورين بكرمهم وجودهم، لكن هذا لا يعني أن هناك صعاليك كانوا أشحّاء، إذ نلحظ كرم " تأبط شرا " أيضا من خلال حواره مع زوجته يقول:[2]

يقولُ أَهلكْتَ مالاً لَّو قَنِعْتَ به * مِن ثَوبِ صِدْقٍ ومن بز وأعلاق**

عاذلتي إِنَّ بعضَ اللَّـومِ مَعْنَفَةٌ * وهَــلْ متـاعٌ وإِنْ أَبقيْتُهُ باق**

إِني زَعِيمٌ لئن لم تتركُوا عَذَلي * أَنْ يَسْئَلَ الحيُّ عنِّي أَهلَ آفاق**

أَن يَسْئَلَ القومُ عني أَهــلَ مَعْرِفَةٍ * فلا يُخبـّرِهُمْ عن ثابتٍ لاَق**

فالكرم عند الشعراء الصعاليك كان من أجل تحقيق نوع من الرفاهية والتخفيف من الجوع والفقر، فكرمهم لم يكن من أجل نيل شهرة حتى يقال عنهم أنهم كرماء، إذ ظلوا مرتبطين بهذه القيمة إلى جانب الشجاعة لأن صفة الكرم والشجاعة صفتان متلازمتان.

1) عروة بن الورد: الديوان ص 83.

2) تأبط شرا: الديوان، ص 43.

2-4- الوفاء بالوعد:

من ميزات العرب التي تأصلت فيهم هي الوفاء بالوعد، والتي كان بعض الشعراء الصعاليك قد اختصوا بها، وخير مثال على ذلك، وعد الشنفرى لزوجته أن ينتقم من بني سلامان بأن يقتل منهم مائة رجل، فقد قال أبيات رد فيها على زوجته عندما كانت تذكّره بأنه قد نسي وعده لها لمقتل أبيها فرد عليها. يقول:[1]

كأنْ قَدفلا يَغْرُرْكِ مِنِّي تَمكُّثِي * سلَكْتُ طَرِيقــا بَيْنَ يَرْبَغَ فالــسَّــرْدِ**

وإنِّي زَعِيمُ أنْ أُلُفَ عَجَاجَتِي * عَلَى ذِي كِسَاءٍ،مِنْ سَلاَمَانَ،أوْ سُرْدِ**

وَأَمْشِي لدى العَصْدَاءِأبْغِي سَرَاتَهُمْ * وَأَسْاكَ خَلاَّ بَيْنَ أرْفَاغَ والــسَّرْدِ**

هُمُ عَرَفُوني نَاشِــئا ذا مَخيلَة* أُمَشِّي خِلاَلَ الدَّارِ كالأسَــدِ الــوَرْدِ**

كأنّي إذا لم أُمْسِ في دَار خالدٍ * بِتَيْمَاءَ لا أُهْــدَى سَبِــيلاً وَلاَ أهدِي**

فهو يريد أن يقول لها أنه لم يَعدْها ليَنسى وعده لها، وإنما هو متمهل لحين الوقت المناسب لهذا الانتقام من هؤلاء القوم، فهو يملك ثقة كبيرة في نفسه بأنه قادر على تنفيذ وعده بوعده.

فالعرب عرفوا بحدة الطباع فإذا وعد أحدهم قام بتنفيذ وعده حتى وإن كان وعد الفرد على الجماعة كما حدث مع الشنفرى، لأن وعده بالانتقام من قوم سلامان لم يتراجع عنه أبدا.

وفي الأخير نستطيع القول أن شعر المتمرّدين كان ضربا من التصوير للوقائع والأحاسيس التي تختلج صدورهم نتيجة لما كانوا يعيشونه، ورأينا أن هدف تمردهم كان

1) الشنفرى: الديوان، ص42.

فقط من أجل رفع الظلم وتحقيق العدالة والحرية التي لم يذوقوا طعمها داخل حيز القبيلة لذلك خرجوا إلى الصحراء محترفين كل أساليب القتال بكل أنواع الأسلحة التي عرفوها أنذاك، واحتراف الحيلة والمكر وكل أساليب العدوانية.

وهؤلاء الصعاليك لم ينفردوا في التصرفات فقط، بل كان تميزهم في الشعر أيضا لأن الشعر بالنسبة لهم كان يجري مجرى الدم في عروقهم، لا يستطيعون الاستغناء عنه أبدا، فهو يرتبط ارتباطا مباشرا بروح الشاعر ومشاعره، وبالتالي فإن كل المشاعر والأحاسيس تتجسد في شعره، لذلك غلبت على شعرهم الذاتية فقد تميزت حياتهم بطابع خاص انعكس في أشعارهم.

الفصل الثاني : التمرد في شعر الشنفرى

أولا: الشنفرى حياته ونشأته

ثانيا: تجليات التمرد وفلسفته في شعر الشنفرى.

1- تجليات التمرد في شعره.

2- فلسفة التمرد في شعره.

كان لعامل التناقض الاجتماعي دور في خلق طبقة مهمشة في المجتمع الجاهلي والتي عانت الذل والاحتقار لسببين رئيسيين هما : الفقر واللون (العرق)، وهو ما خلق شخصيات متمردة معارضة لكل النظم، ومن بين هذه الشخصيات "الشنفرى" الذي أعلن رفضه لمجتمعه بكل صراحة، وخرج عنها طامحا إلى إيجاد متنفس له، لتحقيق ولو جزءا من كل ما حرم منه في حياته داخل القبيلة .

أولا: الشنفرى حياته:

1_ نسبه ونشأته:

هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى[1]، وهو من بني الحارث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهانئ بن الأزد، وهو من الأواس بفتح الهمزة... وزعم بعضهم أن الشنفرى لقبه – ومعناه عظيم الشفة – [2] أي أن الشنفرى كان غليظ الشفتين، ولهذا لقب بالشنفرى.

اللقب عامة صورة ظاهرة على ملامح صاحبها، واللقب الشعري عبارة تطلق على الشاعر إما عن طريق الصدفة أو عن طريق التكرار والإصرار على عبارة معينة لحلاوتها وقربها من نفسية الشاعر، وهذا ما يحولها إلى لقب يطغى على الاسم الحقيقي له،[3] أو قد يكون اللقب الشعري نتيجة لطبيعة خلق كما هو الأمر بالنسبة للشنفرى هو ابن « أَمَة حبشية سوداء ورث عنها سوادها وغلظة الشفتين»[4].

1) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب، ص171.

2) عبد القادر بن معمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح محمد عبد السلام محمد هارون، ط 4، مطبعة المدني، القاهرة، 1997م، ج3، ص 343، 344.

3) عبد الله أحمد الفيفي: ألقاب الشعراء (بحث في الجذور النظرية لشعر العرب ونقدهم)، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد ، 2009م، ص23.

4) إخلاص فخري عمارة: الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية، ط2، مكتبة الآداب، مصر، 2001م، ص231.

لكن عن تاريخ ولادة الشنفرى فإن الكتب والمصادر التي تناولت سيرته وترجمتها لم تعطي تاريخا محددا لولادته، غير أن هناك اختلاف وقع في نشأته وأغلب الروايات تقول أننشأته كانت في قبيلة الأزد في بني سلامان وهي فرع من الأزد، وقدم فدية لهم من طرف بنو شبابة، فنشأ بين قوم بني سلامان حتى إنه لما عرف بحقيقة أمره هجرهم وقلبه مليء بالحقد والكره لهؤلاء القوم نتيجة المعاناة والمرارة التي كان يتجرعها كل يوم لأنه كان يعامل معاملة العبيد من الاحتقار والأعمال الشاقة التي كانت توجه له، فأقسم أن يقتل مائة رجل منهم.[1]

إلا أن حقيقة هذا الحقد جاءت على روايات عدة نذكر منها: أنه طلب من ابنة سيده خدمة وكان يظنها أخته، فرفضت خدمته وأنكرت أخوته وأخبرته حقيقة نسبه، فثارت نفسه وأعلن انتقامه منهم، لأنهم استعبدوه، وقيل أنه أحب هذه الفتاة لكن أباها خشي تزويجه إياها خوف من أن يقتله قومه، فعاهده الشنفرى أن يقتل مائة رجل منهم إن قتلوه، وحصل ما كان متوقع وكان انتقامه أن نفذ وعده[2].

والشنفرى من الصعاليك الذين تمردوا واختاروا طريق الصعلكة نتيجة المظالم الاجتماعية والتجاوزات القبلية، للأسباب المذكورة سابقا[3].

ولقد تميز في عالم الصعاليك بالشجاعة والصبر عن البأس وشدة المضاءة فـــهو « الذي يضرب به المثل في سرعة العدو الذي يسبق الخيل ويضرب به المثل في الحذق والدهاء، وهو ابن أخت تأبط شرا رغم أنه أكبر منه سنا »[4] .

1) ينظر: بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم ، آثارهم ، نقذ آثارهم)، (د، ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، (د،ت)، ص83.وينظر: إخلاص فخري عمارة : الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية، ص 232.

2) ينظر: عبد الحليم حفنى: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص212.

3) بوجمعة بوبعيو: جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة، (د،ط)، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001م، ص71.

4) عبد الحليم حفنى: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص112.

ولقد عانى الشنفرى الاحتقار والفقر والاستعباد حتى خرج من هذه الدائرة الضيقة التي شرب فيها مرارة هذه المعاناة، لهذا كانت الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا الضيق أن اختار حياة التشرد في قفار الصحراء الموحشة والمحفوفة بالمخاطر، يعتمد على نفسه في كل شيء، لهذا اكتسب هذه الصفات التي أصبح بها أكثر تأقلما وتعايشا مع كل الظروف.

وبعد خروجه إلى العيش في الصحراء خارج نظم القبيلة، طبيعي أن تتميز حياته بنوع من الطيش والعدوانية، لهذا فإن أكثر ما ميز حياة الشنفرى كثرة الجرائم التي كان يقوم بها، فقد كان يسطوا ويسرق ويقطع الطريق، ويدخل الرعب في نفوس أفراد القبائل والعشائر وأيضا القوافل حيث يسرق أموالهم ويسبي نسائهم.[1]

فالحياة التي كان يعيشها الشنفرى كانت حياة قاسية تسيطر عليها القوة والمال والحقد مما خلق في نفسه روحا غاضبة متمردة على واقع لم يكن يريده، لأنه واقع اختلفت فيه كل المقاييس.

وأيضا من أسباب تصعلكه وحقده على بني سلامان، وتبنيه لكل الأساليب الطائشة أنه قيل: أن رجلا من الأزد قتل أباه، ولما رأت أم الشنفرى أنه لا أحد يريد أن ينتقم لمقتله ارتحلت إلى جوار قبيلة فهم مع الشنفرى وأخ له، ولكن الناس لم يكنوا له غير الكره بسبب بشرته السّوداء، فاختار طريق التصعلك.[2]

1-2- وفاته:

وتحددها روايتين:

الرواية الأولى: أن الشنفرى ظل يغير ويترصد لبني سلامان حتى قتل تسعة وتسعين رجلا، حتى قبضوا عليه، فقتلوه وبقي طعاما للحيوانات لتفترسه، فمر رجل من هؤلاء

1) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص84.

2) غازي ظليمان ،عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنون)، ص483.

القوم ورفس جمجمته برجله فدخلت فيها شظية وكانت سبب مقتله، وكان تمام المائة وبهذا يكون الشنفرى قد نفذ وعده بأن يتم المائة[1].

الرواية الثانية:

كان الشنفرى لا يبصر سوادا بالليل إلا ورماه حتى تسبب هذا الفعل في مقتله، ذلك لأنه رمى أخ "أسيد بن جابر" فشك ذراعه إلى عضده، فقطع إصبعين من أصابع خازم ولحقه أسيد وابن أخيه فأسروه وجردوه من سلاحه، وأخذوه إلى أهلهم، وعذبوه قبل قتله بقطع يده، ولقد كانت وصيته قبل موته أن لا يقبروه ويتركوه لحيوانات الصحراء. [2] ودليل ذلك قوله:[3]

لا تَقْبُــرونـــي إنّ قَبْـــري مُــحَــرَّمٌ * عَلَيْكُــمْ ولَكِــنْ أبْشِرِي أمَّ عامِــرِ**

إذا كحْتَمَلُوا رَأْسِــي وفي الرأس أَكْثَرِي * وَغُودِر عِنْـــدَ المُلْتَقَى ثُمَّ سَائِرِي**

هُنَالِكَ لاأرْجُــو حَيَـــاةً تَسُرُّنـــي * سَجِيــسَ اللَّيَالي مُبْسِلاً بالجَرَائِر**

هذه أخبار وفاته لكن تاريخها لم يكن مؤكدا غير أن المتفق عليه هو أنه كان معاصرا لتأبط شرا، وبذلك يكون من شعراء القرن السادس للميلاد وكانت سنة وفاته نحو سنة 525م[4].

وقد رثى تأبط شرا صديقه الحميم الشنفرى وذكر شجاعته وبطولته يقول: [5]

وَأَجْمَلُ مَوْتِ الْمَرْءِ إِذْ كَانَ مَيِّتاً * وَلاَ بُدَّ يَوْماً مَوْتُهُ وَهْوَ صَابِرُ**

1) ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص380.

2) ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ص347.

3) الشنفرى: الديوان، ص48.

4) المصدر نفسه، ص13.

5) تأبط شرا: الديوان، ص28.

فَلاَ يَبْعَــدَنَّ الشَّنْفَرَى وَسِلاَحُـــــهُ* الْحَدِيدُ وَشَدَّ خَطْوِهِ مُتَوَاتِرُ**

إِذَا رَاعَ رَوْعَ الْمَوْتِ رَاعَ وَإِنْ حَمَى* حمى معهُ حرٌّ كريمٌ مصابرُ**

لقد عاش الشنفرى حياة شقية محفوفة بالمخاطر والأهوال، فقد قضى حياته مطاردا حالما بالانتقام حتى نفذ وعده ودفع ثمن ذلك حياته، نتيجة الحقد الذي كان يملأ قلبه ونتيجة صعوبة الحياة التي مر بها.

1- شعره:

قدم الشنفرى صورا لأحداث حياته القاسية داخل الإطار القبلي وخارجه، فقد كان شعره متنفسه الذي يشرح صدره، و مرآة عكس فيها الحياة البدوية، إذ سجل كل تفاصيل أحداث حياته. وإن كان معظم شعره يدور على أهم حدث في حياته وهو « الصراع بينه وبين بني سلامان والجزء الباقي منه حول أحاديث تصعلكه وفقره وتشرده وغاراته على غير بني سلامان.[1]. إضافة إلى « تصويره للأسلحة والغارات، ورثائه لأبيه وأخيه الذي مات صغيرا ورثاء ليده التي قطعها بنو حرام من الكوع بعد أن شدوا وثاقه» [2].

و للشنفرى ديوان شعري ضم مجموعة من المقطوعات والقصائد، إلا أن أشهر ما ضمه الديوان قصيدته اللامية المشهورة، التي حامت حولها شكوك حول حقيقة نسبتها إليه لأن هناك من نسبها لغيره ، وأيضا التائية كما رجح في ذلك "يوسف خليف" في كتابه الشعراء الصعاليك.

وتعد هذه اللامية أطول قصيدة في "ديوان الصعاليك" فهي تحتوي على ثمانية وستين بيتا، فهي ضعف أطول قصيدة في هذا الديوان، وهي تائيته التي تتألف من خمسة وثلاثين بيتا.[3]

1) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك، ص337.

2) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ج1، ص106.

3) الشنفرى: الديوان، ص16.

وهذه القصيدة المشهورة مثلها مثل المعلقات نالت إعجاب العديد من الأدباء والنقاد العرب وغير العرب، وتميزت من بين القصائد، كما نالت حظا من الدراسة والتحليل والشرح من طرف باحثين عرب ومستشرقين، فقد قدمت شروحا كثيرة منها: « أبي بكر بن دريد الزمخشري في كتابه "أعجب العجب في شرح لامية العرب"، شرحها محمد بن القاسم بن زكوي المغربي، شرح عطاء الله بن أحمد المصري المكي، شرح عبد الله بن الحسني العكبري،...التبريزي » [1].

لقد اعتاد هذا الصعلوك المتمرد العيش في قفر الصحراء الموحشة، يتعايش مع كل ظروفها، رغم قساوتها حتى بات يفضل حياة التشرد والتمرد، فقد أصبح أكثر قوة وشجاعة وجرأة، وهو ما كان يعمل على إظهاره في شعره خاصة اللامية، والفقر كان عاملا أساسيا في تحري مشاعره، إضافة إلى البداوة التي علمتهم الإقدام والإصرار بدل الاستسلام.[2]

1) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،ج1، ص107.

2) ينظر: حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب، ص 172، 173.

ثانيا: تجليات التمرد وفلسفته في شعر الشنفرى.

1- تجليات التمرد في شعره:

إن الحياة التي عاشها العرب في بيئة صحراوية جاهلية، كانت قاسية نتيجة الظروف والقوانين الصارمة التي كانت تمارسها القبيلة على طائفة من الناس، ما جعل هذه الطائفة تتمرد على كل نظم وأعراف القبيلة وتختار طريق الصعلكة والتشرد وخلق مجتمع جديد خاص بهم بديلا يغنيهم عن كل التزام قبلي.

ولهذا فمن الطبيعي أن تكون أشعارهم إثبات لذواتهم الفردية، خالية من كل الروابط القبلية عكس الشعراء القبليين، فشعر المتمرد تجسيد للأوجاع الخاصة ورصد لمغامرات وحياة التشرد، وهو ما نجده في شعر الشنفرى الذي كان يحاول تجسيد كل أحاسيسه بصدق، نتيجة الظلم والاضطهاد.

1-1- الفقر:

الفقر من الأسباب الرئيسية التي دفعت بالشنقرى إلى التمرد والخروج إلى عالم الصعلكة وتفضيله لحياة الإنفراد والتشرد.

يقول الشنفرى:[1]

نَمُرُّ بِرَهْوِ الماءِ صَفْحا وَقَدْ طَوَتْ * شَمَائِلُنَــا والــزَّادُ ظَنٌّ مُغَيَّــبُ**

فهو يتحدث عن الجماعة التي ينتمي إليها عندما خرجوا للإغارة وقد مروا بموضع فيه ماء، وكانوا يفتقرون إلى الزاد في معظم الأوقات إذ جاءت الكناية في هذا البيت دالة عن كثرة الجوع وعدم امتلاك الزاد.

1) الشنفرى: الديوان، ص28.

وفي موضع آخر يتحدث عن صديقه "تأبط شرا" عندما كان يقتر عليهم الطعام خوفا أن تطول الغزاة بهم فيهلكون.

يقول: [1]

وَأُمَّ عِيالٍ قَد شَهِدتُ تَقوتُهُـــــم * إِذا أَطعَمَتهُــم أَوتَحَت وَأَقَلَّتِ**

تَخافُ عَلَينا العَيلَ إِن هِيَ أَكثَرَت * وَنَحنُ جِيــعٌ أَيَّ آلٍ تَـأَلَّتِ**

وَما إِن بِها ضِنٌّ بِما في وِعائِهــا * وَلَكِنَّها مِن خيفَةِ الجوعِ أَبقَتِ**

مُصَعِلِكَةٌ لا يَقصُرُ السِترُ دونَهــا * وَلا تُرتَجى لِلبَيتِ إِن لَم تُبَيَّتِ**

فهو يسعى إلى إظهار صفات زعيم الصعلكة (الايجابية) وهو صديقه "تأبط شرا" وعلى أثر تلك الصفات فهو يصف صديقه الذي شبهه (بالأم) في عطفها و حنانها، إذ تميز بتقتير الطعام لوقت الحاجة خشية أن يموتوا جوعا في الأيام، التي ربما تطال الغارات، وهذا لا يعتبره بخلا منه وإنما هو حرص على الطعام وحسن في التصرف ضد الجوع، والزعيم هنا بصورة مغايرة لشيخ القبيلة، ومازال الشنفرى يواصل حديثه في الفقر إذ أطال الوصف فيه في مجتمعه الجديد. يقول: [2]

وليس جَهَازِي غَيْرُ نَعْلين أَسْحَقَتْ * صُدُورُهُما مَخْصُورَةً لا تُخَصَّفُ**

وَضُنَّيَّةٍ ؟ جُــرْدٍ وإِخْلاَق رَيْطَــةٍ * إذا أَنْهَجَتْ مِنْ جانِبٍ لا تُكَفَّفُ**

فالشاعر هنا لا يملك غير نعلين وقد تمزقا من كثرة المشي، وثياب بالية أيضا ومهترئة من كثرة مداومتها حتى جردت عليه، وأصبحت تكشف عن كل شيء أكثر مما تستر عليه وهذا دليل على حياة الشقاء التي يعيشها في عالم التشرد.

1) الشنفرى: الديوان، ص53.

2) المصدر نفسه ، ص46.

ويتابع الحديث في موضع آخر فيصف حالة الفقر التي كان هو وأصحابه يعيشونها يقول:[1]

وَنَعْلٍ كَأَشْلاَءِ السُّمَانَى تَرَكْتُهـا* على جَنْبِ مَوْرٍ كالنّحِيزَةِ أغْبَرَا.**

فَإِن لا تَزُرني حَتَفتي أَو تُلاقِني * أَمَشّـي بِدَهوٍ أَو عِدافٍ بَنَوِّرا**

أُمَشّي بِأَطرافِ الحَماطِ وَتـارَةً * تُنَفّصُ رِجلي بُسبُطاً فَعَصَنصَرا**

لقد كان شعر الصعاليك كفيلا بتصوير معاناة الفقر والجوع تصويرا دقيقا، وفي هذه الأبيات يصف الشنفرى حالة الفقر التي يعيشها، فلم يكن يملك غير نعليه و قد تخلى عنهما فتركهما بجانب طريق مستوية، يشبهان قطعة خشنة من الأرض و لونهما يشبه لون الأرض من كثرة تراكم الغبار عليهما، الذي يكسوها.

ومن ملامح العناء والقهر بسبب الجوع نجد الشنفرى في موضع آخر يثبت أنه بسبب الجوع الذي يلازمه، فهو في حالة ما إذا قاموا بإغارة أو قطع طريق كان أولهم حاضرا بصفة دائمة، إلا أنه لا يكون من أعجل الناس في مد يده إلى الطعام، بل دائما يجعل نفسه آخر فرد يتناول طعامه من بين أصدقائه المتمردين في عالم الصعلكة. وفي هذا يقول:[2]

وَكُـلٌّ أَبـيٌّ باسِـلٌ غَيـرَ أَنّني * إِذا عَرَضَت أُولى الطَرائِدِ أَبسَلُ**

وَإِن مُدّتِ الأَيدي إِلى الزادِ لَم أَكنُ * بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ**

وشبح الجوع الذي كان يلاحق " الشنفرى" مثل ظله الذي لا يفارقه يطيل الوصف فيه دائما لذلك نجده يقول:[3]

وَأَغْدو خَمِيـصَ البَطْن لا يَسْتَفِـزُّني * إلى الزَادِ حِـرْصٌ أو فُـؤادٌ مُوكّـلُ.**

1) الشنفرى: الديوان، ص 46.

2) المصدر نفسه، ص 59.

3) المصدر نفسه، ص 61.

وَلَسْــتُ بِمِهْيَــافٍ يُعَشِّــي سَوَامَــه * مُجَدِّعَـــةً سُقْبَانُهــا وَهْــيَ بُهَّــلُ.**

"فالشنفرى" حتى وإن كان جائعا خالي البطن إلا أن الجوع لم ينل من مروءته، إذا هو استُفز بالطعام، وهو ليس كالراعي الأحمق الذي لا يحسن رعي ماشيته فيعود بها جائعة هي وأولادها، وهذين البيتين يدلان على شدة الجوع، و شدة الذكاء والدهاء اللذين كان يتمتع بهما الشنفرى.

ثم يعود فيصف حالة أمعائه من جراء الجوع، فوعورة الطبيعة وقسوتها على المتمردين الصعاليك جعلتهم في عناء دائم من الجوع الذي لا يفارقهم، حتى أطال الشنفرى الوصف فيه فنجده يواصل ذلك ويقول: [1]

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ * خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ**

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيــدِ كمـــا غَدَا * أَزَلُّ تَهَــادَاهُ التنَائِفَ أَطْحَلُ**

غَدَا طَاوِيــاً يُعَــارِضُ الرِّيــحَ هَافِيــاً * يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ**

فَلَما لَوَاهُ القُــوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّــهُ * دَعَــا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّــلُ**

مُهَلَّلَـــةٌ شِيــبُ الوُجُـــوهِ كأَنَّها * قِدَاحٌ بأيدي ياسِــرٍ تَتَقَلْقَـــلُ**

لقد بلغت درجة الجوع إلى غاية التصاق أمعائه فقد أصبحت مطوية وهي خاوية كأنها حبال مفتولة بدقة، حتى إنه شبه نفسه بالذئب من خلال قوله في البيت الثاني لأن ملامح الجوع بادية عليه من خلال نحول جسمه، و الشنفرى يتشابه مع الذئب في شدة الجوع وشدة رغبته في البحث عن الطعام، وهذا الوضع جعله يشتم رائحة الفريسة من بعيد لكنه كان عكس الرياح لهذا لم يتمكن من اشتمام أي شيء، وهذه صورة توحي بدقته وخبرته بالبيئة الصحراوية الموحشة، فقد كان الجوع يلاحقه ورفاقه مثل ظلالهم وملازم

1) الشنفرى: الديوان، ص 63، 64.

لهم في كل وقت، وهذا ما جعله يعكس حالته على الذئب الجائع الذي أتعبه الجوع، فلم يجد غير أن يستغيث ويصرخ بعشيرة الذئاب فأجابته.

ثم انتقل يصف حالة الذئاب الجائعة، ونحول أجسامها وشيب شعر وجوهها يقول: [1]

مُهَرَّتَةٌ فُــوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهــا * شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَــاتٌ وَبُسَّــلُ**

فَضَــجَّ وَضَجّتْ بالبَرَاحِ كأنَّهــا * وإيــّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ**

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّهــا * علــى نَكَــظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ**

ويعود إلى وصف حالة الذئاب الجائعة فيصفها بأنها فاتحة أفواهها شدوقها واسعة مثل الشقوق في العصى، وشبه عواء الذئاب بنواح النساء في مأتم، ثم أدرك هذا الذئب والذئاب أنه لا جدوى من العواء فلجؤوا كلهم إلى الصبر، ثم رجع كل واحد منهم إلى مأواه حاملا مرارة الألم من الجوع واليأس وكتمان كل ما عانوه.

ورغم المعاناة من الجوع والعطش إلا أن جميع المتمردين الصعاليك كانوا يحاولون دائما التصدي لكل خطر قد يصيبهم في حياتهم، ويحاولون الحصول على الطعام أينما وجدوه والوصول إلى أماكن الماء مهما كان بُعدها، وكما وصف الشنفرى فإن سرعة عدوه تشتد باشتداد العطش يقول: [2]

وَتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما * سَرَتْ قَرَبَاً أحْنَاؤهــا تَتَصَلْصَــلُ**

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَــدَرْنَا وأسْــدَلَتْ * وشَمَّرَ مِنِّي فَــارِطٌ مُتَمَهِّــلُ**

فَوَلَّيْــتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْــرِهِ * يُبَاشِرُهُ منها ذُقُــونٌ وَحَوْصَــلُ**

1) الشنفرى، الديوان، ص 65.

2) المصدر نفسه، ص 66.

حالة الجوع الشديدة التي حلت بجماعة الصعاليك مثل لها الشنفرى بنفسه في شعره فهو يصف في هذه الأبيات جسمه النحيل الذي أصبحت فقرات ظهره جافة يابسة حتى ألف النوم على الأرض بظهره الذي لا يصل إلى الأرض، لأن هذه الفقرات تسبق أولا إلى الأرض لخلو جسمه من اللحم.إذ يقول: [1]

وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتَراشِها * بأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ**

وَأعْدِلُ مَنْحُوضاً كـأنَّ فُصُوصَـــهُ * كعَابٌ دَحَاهَا لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ**

وهذا النحول انعكس على جسمه كله وليس على فقرات ظهره فقط، فهو يصف حاله في النوم حيث يفترش الأرض بجسم ليس فيه إلا عظام وفقرات، وذراعه التي يعتمدها كوسادة في نومه كأنها عظمة صلبة من حديد. ويقول عن يوم شديد الحر: [2]

ويَومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ * أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ**

نَصَبْتُ له وَجْهي ولا كِنَّ دُونَهُ * ولا سِتْرَ إلاَّ الأتْحَمِيُّ المُرَعْبَل**

قد يمر بي يوم من أيام الحر الشديد الذي لا تطيقه حتى الأفاعي التي ولدت في هذه البيئة وتعودت عليها، وفي هذا اليوم أنا لا أملك إلا بردة ممزقة لا تستر جسمي كليا، أما وجهي فلست أملك ما يستره من حر الشمس ولهيبها.

ومعاناة الشنفرى في ربوع الصحراء الموحشة جعلته لا يستطيع أن يترك شيئا من حياته أو تفاصيل جسمه إلا وأعطاه حقه من الوصف والتصوير بدقة وعناء، ولهذا نجده قد انتقل إلى الحديث عن حالة شعره يقول:[3]

وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيِّـرَتْ* لبائِـدَ عن أعْطَافِـهِ ما تُرَجِّـلُ.**

بَعِيدٌ بِمَـسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ * له عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسْلِ مُحْوِلُ**

---

1) الشنفرى: الديوان ، ص 67.

2) المصدر نفسه ، ص 71.

3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

هنا يصف الشنفرى شَعره المتلبد الذي لم يغسل ولم يمشط لوقت طويل، فهو سابغ مثل أذناب الحيوانات لتراكم الأقدار عليه، ولهذا فإن الريح حتى وإن هبت فإنها لا تفرقه لأنه ليس بمسرح فهو في قفر ولا يملك أدوات للعناية به.

1-2- اللون (العرق):

كانت العرب في عصر ما قبل الإسلام تقهر من لا يتمتع بنسب شريف، فكان العبيد أبناء الإماء هم أكثر من كان يتلقى تلك الإهانات والمذلات بسبب نسبهم، وسواد بشرتهم الذي كان هو أيضا سببا رئيسيا من الأسباب التي دفعت ببعض الجاهلين إلى التمرد والخروج إلى عالم جديد هو عالم الصعلكة، كما حدث مع "الشنفرى" الذي كان يعيش بين قوم "بني سلامان" دون أن يعرف أصله ومنزلته بينهم، لأنه كان يظن أنه واحد منهم وينتمي إليهم، وحين كشفوا له حقيقته أخذ يفتخر بنسبه، بأن أبوه خير الأواس وغيرها من أبناء القبائل الأخرى وأمه أيضا هي خير النساء، فهو يعلي من نسب أمه وأبيه.

يقول مصورا ألمه بسبب ظلم المجتمع القبلي له: [1]

ألاَ هل أَتى فِتيانَ قومي جَماعةً * بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَهـا**

ولو علمت تلك الفتـاةُ مَناسبي * ونِسبتُهـا ظلَّـت تقَاصَرُ دونـها**

أليس أبي خيرَ الأَواسِ وغيرِها * وأُمِّي ابنـةُ الخَيْرِينَ لو تَعلمينـها**

إذا ما أَرُومُ الودَّ بيني وبينـــها * يـؤمُّ بياضُ الوجه منّي يمينَها**

1) الشنفرى: الديوان ، ص 41.

لذلك نجده في موضع آخر يتحدث عن رغبته في الانتقام من الذين قهروه بسبب لونه ونسبه، حتى إنه شبه رغبته في الانتقام برغبة العطشان الذي اشتد عطشه فاشتدت رغبته في شربه ماء يقول: [1]

جَزَيْنا سَلاَمَانَ بنَ مُفْرِجَ قَرْضَهـا * بمـا قَدَّمـتْ أَيديهِـمُ وأَزلَّـتِ**

وهُنِّيءَ بِي قومٌ ومـا إِنْ هَنأْتُهُـمْ * وأَصبحتُ في قومٍ وليْسوا بمُنْيَتـي**

فَإِنْ تُقْبـلِوا تُقْبِلْ بِمَـنْ نِيلَ مِنـهُمُ * وإِنْ تُدْبِـروا فَأُمٌّ مَـنْ نِيـلَ فُتّتِ**

شَفَيْنَا بِعَبْـدِ اللهِ بَعْـضَ غَلِيلِنَـا * وعَوْفٍ لَدَى المَعْدَى أَوَانَ اسْتَهَلَّتِ**

فرغبة الشنفرى في الانتقام من بني سلامان بسبب قهرهم وتعييرهم له بسبب نسبه ولونه الذي ورثه عن أمه، تشبه رغبة الإنسان العطشان الذي اشتد عطشه وغليله إلى الماء.

ويقول: [2]

وكفِّ فَتًى لم يَعْرِفِ السَّلْخَ قَبْلَها * تَجُورُ يَدَاهُ في الإهَابِ وتَخْرُجُ**

نعلم أن السلخ هو نزع جلد الذبيحة والملوك والسادة يتصفون بعدم الإجادة في السلخ، لأن هذا ليس عملهم في الحياة وهو ما يذم به كل متمرد صعلوك خارج عن القبيلة، فهو تعيير لهم بالتوحش والتشرد.

كما أن القهر الذي كان يعانيه بسبب سواد جلده جعله يبحث عن البياض بما يغطي هذا السواد، فكان بياض السيف هو التعويض الذي وجده.

---

1) الشنفرى: الديوان ، ص 37.

2) المصدر نفسه ، ص 39.

يقول: [1]

إِذَا فَزِعُوا طارتْ بأَبيضَ صارِمٍ * ورامَتْ بِما فِي جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ**

حُسامٍ كلَوْنِ المِلْح صافٍ حَديدُهُ * جُزَارٍ كأَقطاعِ الغَدِيــرِ المُنَعَّتِ**

فتغني الشنفرى ببياض السيف وسيلته في التغلب على مأساة لونه، لذلك نجده يصف سيفه بالبياض الذي يشبه بياض الملح، وصد الذين يعيرونه بوضاعته وقبح لونه، وهذا دليل على قهر المجتمع القبلي له بسبب لونه. ولعل التعويض الأكبر الذي وجده هؤلاء هو الطبيعة لذلك عبروا عن انسجامهم وتوحدهم بها وهو ما عبر عنه بقوله: [2]

أنا السِّمْحُ الأَزَلُّ فَلاَ أُبَالِي * ولَوْ صَعُبَتْ شَنَاخِيبُ العِقَابِ.**

فهو يعبر عن هذا الانسجام من خلال تجاربه متمثلا بحيواناتها لإظهار قوته الخاصة وشراسته فشبه نفسه بالذئب، ويؤكد شدة انسجامه مع الصحراء وأحوالها وحيواناتها. يقول: [3]

تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأَنّها * عَــذَارَى عَلَيْهِــنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ**

ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأَنّنِــي * مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أَعْقَلُ**

نجد الشنفرى في هذه الأبيات يعبر عن شدة انسجامه مع بيئته الخاصة من خلال الدليل الذي قدمه عن توحده حتى مع وحوش الصحراء، فنجده قد شبه الوعول بالنساء العذراوات بشعرها وذيولها الطويلة، لأنها كانت تتحرك من حوله ليست نافرة منه وهذا دليل على شدة صلته بالوحوش فقد أصبح إلفا لها وأنيسا.

1) الشنفرى: الديوان ، ص 36.

2) المصدر نفسه ، ص 30.

3) المصدر نفسه، ص 72.

2- فلسفة التمرد في شعر الشنفرى:

كانت الأعراف التي تسيطر على حياة البشر في المجتمع الجاهلي قد أفقدت بعضهم إنسانيته، حتى أصبح شعارا هذا المجتمع القوي يأكل الضعيف فيكون البقاء للأقوى، فكان لا بد لهؤلاء الضعفاء من إيجاد حل يخرجهم من ظلمة الاستعباد والقهر، وهو ما جعل طائفة تتمرد على النظم القبلية الظالمة فقد كان لهؤلاء فلسفتهم الخاصة في الحياة من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة وسن قوانين وإشاعة قيم تحقق كرامتهم.

2-1- الفروسية:

الفتوة والفروسية من أهم القيم المميزة للمجتمع الجاهلي، والتي اعتنى بها العرب حتى تغنى بها الشعراء في أشعارهم وإبراز الأخلاق الرفيعة السامية، لهذا حاول الشنفرى تجسيد كل معاني الشجاعة والإقدام والفروسية في شعره.

تبدأ الفروسية من وجهة نظر الصعاليك من نقطة إعلان الخروج عن المجتمع القبلي فالشنفرى، نجده يتحدث عن عزمه وإقدامه على الرحيل وتخليه عن مجتمعه الظالم يقول:[1]

أقِيمُـوا بَنِي أُمِّـي صُدُورَ مَطِيّكُـمْ * فَإنّـي إلـى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ**

فقـدْ حُمِّـت الحاجاتُ والليـلُ مُقْمِرٌ* وشُـدّتْ لِطَيّاتٍ مَطَايا وأرْحُلُ**

لعَمْرُكَ ما بالأرضِ ضيقٌ على امرِئٍ* سَرَى راغباً أوْ راهباً وهوَيعقلُ**

ولي دُونَكُم أهلـونَ سِيـدٌ عَمَلَّسٌ* وأرْقَطُ زُهْلُـولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ**

هم الرهطُ لا مُسْتَوْدَعُ السـرِّ شائـ* عٌادَيْهِم ولا الجاني بما جرَّ يُخذَلُ**

1) الشنفرى: الديوان، ص 58، 59

وكـــلٌّ أبيٌّ باســلٌ غيــرَ أنَّنِـــي* إذا عَرَضَتْ أُولى الطرائدِ أَبْسَــلُ**

إذ تتجلى فلسفة التمرد عند الشنفرى في هذه الأبيات في أنه كره الحياة و مقامه بين قومه، لذلك فهو يرغب في الانفصال عنهم لأن هذا المجتمع القبلي ظالم لا يعرف التعاطف مع الضعيف، لذلك فهو يخبرهم عن استعداده للرحيل، حتى يكونوا على علم برحيله، كأنه يشير إلى أنهم لا مقام لهم بعد رحيله، وهو يقصد بضوء القمر التفكير بهدوء وقد استعمل لفظة (شدّت) للتعبير عن العزم والرحيل ويقول: [1]

وإنّي كفاني فقْدَ من ليس جازيًا * بحُسنـى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلّلُ**

ثَــلاَثَةُ أصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ * وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ.**

فقد ترك الشنفرى أهله وأناسه وخرج إلى عالم الصعلكة ولديه ثلاثة أشياء تغنيه عن كل الناس، لديه قلب شجاع وسيف أبيض مسلول، وقوس طويلة العنق فهو يتحدث عن عالمه الجديد وما تتطلبه الحياة في هذا العالم، ولابد أن يكون شجاعا ودائما مهيأً نفسه بالسلاح (السيف والقوس) حتى لا يكون هدفا وفريسة لعدوه، ثم يعود فيفتخر برجولته وفروسيته فيقول: [2]

ولا جُبلَّ أكْهَى مُربٍّ بعِرْسِــهِ * يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ**

وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَـأَنَّ فـؤادَهُ * يَظَلُّ به المُكَّــاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ**

ولا خَالِـفٍ داريَّةٍ مُتَغَـزِّلٍ * يَــــرُوحُ وَيَغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ**

ومعنى هذا أنه ليس كالبليد الذي لا رأي له ولا شخصية، يستند دائما إلى رأي زوجته فهو ليس جبانا ولا خاملا حتى تلازمه امرأته في كل شيء لأن سلطته فوق كل

1) الشنفرى: الديوان، ص 60.

2) المصدر نفسه، ص 61.

شيء، فهو كما في البيت الثاني الفارس الشجاع الذي لا يخشى شيئا، ليس كغيره من الذين يسيطر عليهم الخوف فيصبح قلبه كأنه معلق يعلو به وينخفض.

ويواصل حديثه في الفخر بدأه بوصف سرعة عدوه أثناء الإغارة يقول: [1]

وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً * فَرِيقَــانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ**

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا * فَقُلْنَــا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ**

فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُــمَّ هَوَّمَتْ * فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْــدَلُ**

فقد وصفوا هؤلاء الناس هذه الغارة مستعجبين لأنهم كانوا يتوقعون الإغارة من عدد كبير، لكنهم لم يسمعوا إلا صوتا ضعيفا من نباح الكلب، فظنوا أنه رأى ذئبا فلم يستمر نباحه ثم نام بعد ذلك، وقالوا ربما يكون قد رأى طيرا أو قطة، ولكن استغربوا أن ينبح من أجل طير في عشه فإن كان المغير من الإنس لا تستطيع أن تفعل ذلك فكانت حيرتهم أن يكون جنيا أو إنسيا فعل ذلك.

وذلك ما يدل على القوة والذكاء الذي يتمتع بهما الشنفرى وأقرانه من الصعاليك في مجتمع الوحوش، فهو في مواجهة دائمة مع الخطر بأنواعه، لهذا أصبح عارفا بأحوالها متمرسا بها. ومن صور الفروسية تعلق الفارس بفرسه وشدة ارتباطه به، ودوام فخره به أيضا يقول الشنفرى: [2]

ولا عَيبَ في اليَحمومِ غَيرُ هُزالِهِ * عَلَى أَنّهُ يَومَ الهِياجِ سَمينُ**

وكَم مِن عظيمِ الخَلق عبلٍ مُوثّق * حواهُ وفيهِ بَعدَ ذاك جُنونُ.**

1) الشنفرى: الديوان، ص 70.

2) المصدر نفسه، ص 77.

يفتخر الشنفرى بفرسه "اليحموم" في الحرب، رغم هزاله إلا أنه في يوم الغارة والحرب يبدي قوته وقدرته كأنه سمين، فلا أحد يستطيع منعه من الإقدام مهما كانت عظمته وضخامته.

ثم يعود الشنفرى للحديث عن نفسه وقوته فيقول: [1]

وَمُسْتَبْسِلٍ ضَافي القَمِيصِ ضَمَمْتُهُ * بِـأزْرَقَ لانِكْـسٍ ولا مُتَـعَوِجِ**

عَلَيْـهِ نُسارِيٌّ علـى خُوطِ نَبْعَة * وَفُوْقٍ كَعُرْقُـوبِ القَطَاة مُدَحْرَجِ**

وقارَبْتُ مِنْ كَفَّيَّ ثُمَّ نَزَعْتُهـا * بِـنَزَعٍ إذا ما اسْتُكْرِهَ النَّزْعُ مِحْلَجِ**

فَصَاحَتْ بِكَفِّي صَيْحَةً ثُمَّ راجَعَتْ * أنِينَ المَرِيضِ ذِي الجِرَاحِ المشجَّجِ**

في هذه الأبيات يحاول الشنفرى إثبات ذاته من خلال تأكيد فروسيته وشدة بأسه، فهو يصف قدرته في المواجهة بالرمح وصفا دقيقا إلى درجة أنه أصبح يسمع صوتها كالصياح العالي، وبعدها يصبح صوتها ضعيفا يشبه أنين المريض الذي أشتد ألمه نتيجة الجراح.

و المتمرد الصعلوك اعتاد الحياة الفردية نظرا لطبيعة الظروف التي يعيشها، لذلك فقد عزم على قطع صلته و علاقته بمجتمعه، واستبدلهم بمجتمع جديد عاش فيه بحرية مع رفاقه في الصحراء الواسعة؛ لأن حياة التشرد وفرت له احتياجاته التي كان يفتقدها في مجتمعه.

وبلغت فروسية الشنفرى عندما أصبح يقارن نفسه بالفرسان الآخرين حتى أنه يقارن نفسه بالوحوش في مطاردة الفرائس، ومواجهة الخطر، فهو بهذه المقارنة يرفض أن يكون

1) الشنفرى: الديوان، ص 40.

هناك فرق بينه وبين الفارس في القبيلة، غير أن خروجه عن القبيلة كان نتيجة الإحساس بالظلم ولهذا التزم بقيم ومعاني الفروسية تعويضا عن كل نظم القبيلة.

يقول: [1]

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ * بِأَعْجَلِهِمْ إِن أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ**

والشنفرى يحاول أن يثبت ويبرز قيمة جديدة من قيمه، وهي فضيلة القناعة وهذا البيت تبرير للبيت الذي قبله لأنه قال بأنه أسرع في مطاردة الفريسة، لكنه أكثر مماطلة في تناولها فهو قنوع وهي ميزة الفروسية عند الشنفرى، وهذا يعني أنه قادر على مماطلة الجوع والصبر على الطعام كما يقول: [2]

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُميتَهُ * وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ**

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى * لَهُعَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ**

ولولا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ * يُعَاشُ بِه إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ**

ولَكِنّ نَفْساً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي * على الذامِ إلاَّ رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ**

فهو يصارع الجوع ويماطله حتى يميته، ويصرفه عنه فيغشاه الضعف ويصيبه الذهول، ويستفّ تراب الأرض حتى لا يكون مذلة في نظر غيره ، لأنه قادر أن ينتصر على الجوع، وهذا يوحي بأنه عاش من الذل والهوان ما يكفي، ثم يعود في البيت الثالث فيؤكد أنه ليس عاجزا في مقاومته وأنه لم يقلل من مروءته بل عكس ذلك تماما فهو ينفي عن نفسه العجز، ولولا تعففه عن العيب لحصل على كل ما يريد، لكن نفسه لا ترضى بالعيب، وهذا دليل على قوة صبره ضد الجوع واعتزازه بنفسه دون الخضوع للآخرين حتى لا يكون لأحد فضل عليه.

---

1) الشنفرى: الديوان، ص 59.

2) المصدر نفسه، ص 62،63.

والشنفرى من الفرسان الشجعان الذين أجّلوا إطالة الحديث عن العزم والإصرار في مواجهة كل الصعاب وكل الأحوال التي يمر بها، يقول مشبها نفسه بالحية : [1]

فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً * علـــى رِقَّةٍ أحْفَــى ولا أَتَنَعَّــلُ**

فإنّي لَمَولَــى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ * على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ**

وأُعْــدِمُ أَحْيَاناً وأَغْنَى وإنَّما * يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْــدَةِ المُتَبَــذِّلُ**

فلا جَزِعٌ مِـــنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّـــفٌ * ولا مَــرِحٌ تَحْــتَ الغِــنَى أتَخَيَّــلُ**

نجد الشنفرى يتحدث عن الفقر والغنى، فيشبه نفسه بالحيّة أو البقرة الوحشية، فهو الفقير الذي لا يملك شيئا حتى إنه يمشي حافيا، في الحر والبرد دون أن يلبس نعلا، و يكمل قوله فيقول أنه صبور قنوع جدا حتى وإن كان مظهره يوحي بالفقر والحاجة، إلا أن داخله عامر بالقناعة لأن قلبه قادر على الصبر والتحمل، فهو يفقر أحيانا ويغنى أحيانا أخرى، ولا يعطي لكليهما أهمية كبيرة وليس لأي واحد منها القدرة على أن يجعلانه يفرح أو يبتئس.

والشنفرى لا يهتم للفقر والغنى لأنه استطاع أن يحصل على العدل والمساواة في العالم الجديد بين أمثاله من الصعاليك الذين تمردوا يقول: [2]

لَهَا وَفْضَةٌ فِيهَــا ثَلاثونَ سَيْحَفاً * إذا آنَسَتْ أُولَى العَدِيِّ اقْشَعَرَّتِ**

وتأْتِي العَــدِيِّ بارِزاً نِصْفُ سَاقِها * تَجُــولُ كَعَيــرِ العَانَةِ المُتَلَفِّتِ**

إذَا فَزِعُوا طارتْ بأَبــيضَ صارِمٍ * ورامَتْ بِما فِي جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ**

1) الشنفرى: الديوان، ص 69.

2) المصدر نفسه ، ص 36.

هذه صورة توحي بالعدل والمساواة في المجتمع الجديد الذي يضم كافة المتمردين الذين تصعلكوا، لأن هذه الأم تبدوا في صورة مدافعة منافحة، عن كل الفتية رغم شراسة وعنف الحياة، وهذا فإن دل فإنما يدل على رقة الشاعر واشتياقه إلى الحنان الذي ضاع منه، نتيجة خروجه إلى حياة التشرد متمردا متصعلكا، لذلك فهو يحاول خلق نوع من هذا الحنان في شعره.

2-2- الشجاعة:

إن العيش في الصحراء الجاهلية الموحشة تتطلب شجاعة كبيرة، في نفس الإنسان وأيضا لا بد أن يكون ذا عزيمة وإصرار. يقول الشنفرى مفتخرا بشجاعته وشجاعة أصدقائه الصعاليك عندما كانوا في غارة. يقول: [1]

ألا هــل أَتَى عَنَّا سُعادَ ودُونَها * مهامِــهُ بِيدٍ تعْتَلي بالصعالِكِ**

بأَنّا صبَحْنا القوم في خيرّ دارِهِم * حِمامَ المنايا بالسُّيوف البَواتِك**

قَتَلْنا بعمرو منهمُ خيْرَ فارس * يزيدَ وسعدا وابنَ عوفٍ بمالك**

ظَلَلْنا نُفَرِّي بالسّيوف رُؤوسَهم * ونَرشُقهم بالنَّبْل بين الدَّكَادِك ****

من عادة العرب الأخذ بالثأر وهي قضية شاعت بين القبائل بصورة كبيرة والشنفرى يصف بطولته هو وجماعة الصعاليك بأنهم أغاروا على قوم بجيلة في ديارهم ليثأروا لــ" عمرو بن كلاب" و"المسيب" بقتلهم "يزيد" و "سعد" من بجيلة وقد استطاع الشنفرى أن يقاتل خير فرسان هذه القبيلة فقد ظل يقاتل ويقطع رؤوس أعدائه بالسيف

1) الشنفرى : الديوان، ص 57.

** نُفَرِّي : نشق، نقطع. الدَّكَادِك : الأرض التي فيها غلظ

حتى تمكن من إشباع غليله بالثأر وهذا دليل على شجاعة وتمرس الصعاليك في المعارك.
يقول الشنفرى مفتخرا بشجاعته: [1]

أنا السِّمْعُ الأَزَلُّ فَلاَ أُبَالِـــي * وَلَوْ صَعُبَتْ شَنَاخِيبُ العِقَابِ**

لا ظَمَــأٌ يُؤخِّــرُني وحَــرٌّ * ولا خَمصٌ يُقَصِّرُ من طِلابِ**

في هذه الأبيات يحاول أن يبدي ويثبت شجاعته فهو مثل الذئب من الضبع في الشجاعة وقوة سرعته، فلا شيء يستطيع أن يشغله أو يؤثره في بلوغ هدفه فلا عطش ولا جوع ولا حتى الحرارة الشديدة، أو أي سبب آخر يستطيع أن يشغله أو يؤخره عن بلوغ الأعالي في سرعة مذهلة دون أن يهتم للجوع ولا للعطش، وهو في هذا الصدد يريد إثبات شجاعته لأنها إثبات للذات.

يقول : [2]

خَرَجنا مِنَ الوادي الَّذي بَينَ مِشعَلٍ * وَبَينَ الجَبا هَيهاتَ أَنشَأتُ سُرَبَتي**

أُمَشّي عَلى الأَرضِ الَّتي لَن تَضُرَّني * لِأَنكِيَ قَوماً أَو أُصادِفَ حُمَّتي**

أُمَشّي عَلى أَيــنِ الغَزاةِ وَبُعـــدَها * يُقَــرَّبُني مِنها رَواحي وَغُدوَتي**

والمعنى أنه قادر على الغزو ماشيا على رجليه دون أن يخاف أحدا، أو أن يخاف الموت، وهو يسير في الوقت الذي بين الفجر وطلوع الشمس، فهو الشجاع الذي لا يخاف العدوّ الذي ربما يلاقي حتفه على يده، فهو ميّت لا محالة.

1) الشنفرى : الديوان،ص 30.

2) المصدر نفسه، ص34.

ثم يعود فيجسد فلسفته في الانتقام من بني سلامان بقتل مائة رجل منهم مخاطبا زوجته التي كانت تذكره بوعده لها أن ينتقم منهم بمقتل والدها يقول: [1]

كَأَن قَد فَلا يَغــرُرك مِنّي تَمَكُّــثي * سَلَكــتُ طَريقاً بَينَ يَربَغَ فَالسَرِدِ.**

وَأَمشي لَدى العَصداءِ أَبغي سَراتَهُم * وَأَسـلكَ خَــلاً بَينَ أَرباغِ وَالسَرِدِ**

هُمُ عَرَفونــي ناشِئاً ذا مَخيلَــــةٍ * أُمَشّــي خِلالَ الدارِ كَالأَسَدِ الوَرِدِ**

توعد الفرد للجماعة دليل على شجاعة يتمتع بها هذا الفرد، وهو ما نجده في هذه الأبيات التي قالها الشنفرى متوعدا هؤلاء القوم بالانتقام فهو ينتظر اللحظة المناسبة لتنفيد وعده. ثم يكمل حديثه مع زوجته مفتخرا بشجاعته وشدة بأسه يقول: [2]

لا تَحسَبيني مِثلَ مَن هُوَ قاعِدٌ * كَأَن قَد فَلا يَغرُرك مِنّي تَمَكُّثي**

انْفَلَتَتْ مِنِّــي جَوَادٌ كَرِيمــةٌ * وَثَبْتُ فَلَمْ أُخْطِىءْ عِنَانَ جَوَادِي**

ففي حديثه هذا يفتخر بقوة عزيمته وإرادته، فهو ليس كالكسلان الذي لا يعرف الحزم والإصرار أبدا، لذلك نجده يفتخر بأنه يملك ثقة كبيرة في نفسه، فهو شجاع كريم إن ضرب لا يخطئ الهدف أبدا.

ويواصل الشنفرى حديثه عن الشجاعة من خلال وصف حالته وهو يعاني مرارة الوحدة والفراغ يقول: [3]

وَمَرْقَبَةٍ عَنْــقاءَ يَــقْصُرُ دونَها * أَخو الضِّرْوَةِ الرِّجْلُ الْحَفِيُّ الْمُخَفَّفُ**

نَعَيْتُ إلى أَدْنــى ذُراها وَقَدْ دَنا * مِنَ اللَّيْــلِ مُلْتَفٌّ الْحَــديقَةِ أَسْدَفُ**

1) الشنفرى: الديوان ، ص 43.

2) المصدر نفسه ، ص 44.

3) المصدر نفسه ، ص 53.

فَبِتُّ على حَدِّ الذِّراعَيْن مُجْذِيًـــا * كَما يَـــــتَطَوّى الأَرْقَـــمُ الْمُتَعَــطِّفُ**

فالشاعر يتحدث عن هذا المكان العالي من الأرض والذي استطاع أن يصعد إليه بكل شجاعة ومهارة، ولكنه على الرغم من شجاعته إلا أنه لم يتخلص من الوحدة والتوتر الذي كان يسكن أعماقه، فالمبيت منطويا في هذه المرقُبة العالية من الأرض، جعله غير مرتاح في نومه، كما أن الليل تحريك للمشاعر والأحاسيس الكامنة بداخل إنسان أكثر كآبة، وهي أبيات تعكس معاناة الشنفرى في هذه المرقبة، التي كانت بمثابة نافذة يطل من خلالها على أعدائه.

إذ يقول: [1]

وَوَادٍ بَعيدِ العُمْق ضَنْكٍ جُمـــــاعُهُ * مَراصِدُ أَيْمٍ قانِتِ الرأسِ أَخْوفُ**

وَحُوشٍ موًى (؟) زادِ الذِّئابِ مُضِلّةٍ * بَوَاطِنُهُ للجِــنّ والأُسْــدِ مَأْلَــفُ**

تَعَسَّفْتُ مِنْهُ بَعْدَ مَا سَقَطَ النّــدَى ** غَمَالِيلَ يَخْشَــى عَيْلَهَا المُتَعَسِّــفُ**

وفي هذه الأبيات يتحدث الشنفرى عن واد بعيد في أعماق الصحراء تلتف حوله الأشجار، وهو واد مخيف لم تألفه غير الجِّن والأسود، حتى أصبح الكل يخافونه من الشجعان والأبطال ويخشونه، لكنه كان يُقدم إليه في جرأة وشجاعة وفي وقت مبكر أيضا بعد سقوط الندى مباشرة.

ويقول مؤكدا عدم خوفه من الموت لأنه يعرف أنه ميت لا محالة. يقول في ذلك: [2]

يا صاحِبَيَّ هَلِ الحِذارُ مُسَلِّمي * أَو هل لِحَتفِ مَنِيَّةٍ مِن مَصرِفِ**

إِنّي لأَعلَمُ أَنّ حَتفِيَ في التـــي * أَخشى لَدى الشُّربِ القَليلِ المُنزِفِ**

---

1) الشنفرى: الديوان ، ص 55.

2) المصدر نفسه ، ص 56.

إن خروج المتمرد إلى قفر الصحراء والعيش بين فلواتها بعد تخليه عن مجتمعه أصبح بسببه أكثر تأكدا وتوقعا للموت الذي لا هروب منه، لذلك فهو يقول أن الموت متربص به أينما كان حتى وإن كان حذرا فإن الحذر لا يستطيع أن يخلصه منه.

وبهذا نخلص في دراسة هذا الجزء إلى أن الشنفرى كان شخصية غير عادية، فقد انفرد ببعض القيم والمزايا التي حتمتها عليه بيئته، وظروفها كما أن حياة الشنفرى تغيرت بعد أن كانت تحط من قيمته وأمثاله، لهذا فإنه لو سارت أمور حياته عكس ذلك لكانت أموره أيسر ولما خرج عن قبيلته وفضل طريق الصعلكة والتشرد في القفر، بدلا عن العيشة داخل دائرة الضغط والتهميش القبلي، لأن الفقر والحرمان وعيشة الذل التي كان يعيشها لم تترك أمامه غير هذه الحياة الثانية، واحتمال ما استطاع احتماله من الأهوال والشدائد وامتهان كل أساليب الصعلكة.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في الشعر الجاهلي تبين أن لهذا التراث الشعري القديم أهمية كبيرة فهو تصوير لكل الأحداث والمظاهر الاجتماعية السائدة في البيئة الصحراوية القاحلة، التي كان لها تأثيرها على أبناء هذه البيئة خاصة على طائفة معينة منهم، وهي طائفة المتمردين الذين كانوا يعانون من قلق نفسي بسبب الضغوط التي كانت تمارس عليهم، ما دفعهم للخروج إلى عالم الصعلكة لتحقيق الحرية في عالمهم الجديد، وقد تعرض هذا البحث إلى واحد من هؤلاء وهو"**الشنفرى**" ومن خلال البحث تم التوصل إلى مجموعة من النتائج منها:

– التمرد ظاهرة اجتماعية ظهرت نتيجة الظروف والقوانين الاجتماعية الصارمة في المجتمع الجاهلي والذي مس طائفة من البشر كانوا أكثر حساسية بسبب المعاملة القاسية من طرف أفراد المجتمع الأحرار والأسياد، ما دفع بعضا منهم إلى إعلان رفضهم وعدم انسجامهم مع مجتمع القبيلة، كما فعل الشنفرى عندما أعلن رفضه وتخليه عن قبيلته بصراحة بحثا عن الحرية بدل الاستعباد .

– شعر التمرد صرخة نابعة من أعماق كل مظلوم تحمل كل معاني الألم والقهر كما في شعر "الشنفرى" الذي عكس فيه كل أحاسيسه وأوجاعه وأحواله الاجتماعية والاقتصادية أيضا وكل الظروف المحيطة به بعد انفصاله عن مجتمعه القديم (مجتمع القبيلة) وانضمامه إلى رفاقه في العالم الجديد (عالم الصعلكة) وانسجامه معهم، ورصد أحوالهم أيضا كل ما لحقهم من ظلم.

– لقد أصبح الشنفرى يعتز برفاقه متعلقا بهم، لأنه وجد معهم ما لم يجده مع أفراد قبيلته لذلك كان لهم حضور في شعره مع حرصه على إعطائهم أو إظهارهم في أحسن الصور

بعد أن أصبحوا أهله، وفقد إحساسه بالانتهاء، عكس شاعر القبيلة الذي يعمل على إظهار القبيلة في أحسن الصور.

– من نتائج البحث أيضا أن شعر الشنفرى كان معظمه عن الفقر فقد كان صبورا في تحمل المعاناة من الظلم الجوع الذي لم يقلل من مروءته، وأنه استطاع أن يعوض الفراغ الذي يحسه نتيجة الظلم بإظهار فروسيته وشجاعته، ضد كل الظروف .

وأخيرا فإن شعر التمرد تصوير للواقع المعاش بكل تفاصيله، ورصد لكل الأحداث والوقائع التي تعرضوا لها بدقة وبتركيز منهم على التهميش والإهمال الذي صادف حياتهم، وهو ما جعل أكثرهم يفضل الانفراد لنفسه بعيدا عن القبيلة، لأنه كان في حاجة إلى نوع من الهدوء والاستقرار الذي لم يجده إلا في عالمه الجديد .

ويبقى الشعر الجاهلي محل الدراسة والاستفادة من كل موضوعاته، لأنه مرآة عكست أحداث العصر وكل المظاهر الاجتماعية التي زامنته في بيئة صحراوية قاسية كما يمكن لباحثين آخرين إضافة أفكار جديدة غير التي قدمت في البحث .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: المصادر :

1) الشنفرى : الديوان ، تح إميل بديع يعقوب. ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م.

ثانيا : المعاجم والقواميس:

1) إبراهيم مصطفى وآخرون:المعجم الوسيط،(د،ط)، دار الدعوة، تركيا، (د،ت)،ج1.

2) الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، (د،ط)، دار الميل، بيروت، (د،ت)، ج1.

3) ابن منظور: لسان العرب، تح رشيد القاضي. ط1، دار الصبح، واد سوفت، بيروت، 2006م، ج18.

4) المنجد والأعلام، ط35، دار المشرق، بيروت، 1996م.

ثالثا: المراجع :

1) أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997م.

2) إخلاص فخري عمارة: الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية، ط2، مكتبة الآداب، مصر، 2001م.

3) إسماعيل بن عباد بن عباس (الصاحب بن عباد): الأمثال السائرة في شعر المتنبي، تح محمد حسن آل ياسين. ط1، مكتبة نهضة بغداد، 1995م.

4) الأصبهاني: الأغاني، ط8، دار الثقافة، بيروت، 1990م، ج14.

5) الأندلسي (أبي عمر بن عبد ربه): العقد الفريد، تح أحمد أمين وآخرون. ط2، لجنة التأليف والترجمة،(د.ت)، ج5.

6) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (حياتهم ، آثارهم ، نقد آثارهم)، (د، ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، (د، ت).

7) بوجمعة بوبعيو: جدلية القيم في الشعر الجاهلي (رؤية نقدية معاصرة)، (د،ط)، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001م.

8) تأبط شرا : الديوان، تح عبد الرحمن المصطاوي. ط1، دار المعرفة ، 2003م.

9) جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،(د، ط)،دار العلم للملايين مكتبة النهضة، بيروت،1976م،ج5.

10) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت ،(د.ت)، م2، ج3 .

11) جون كروكشانك: ألبير كامي وأدب التمرد، تر جلال العشري . (د،ط)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2005م.

12) حبيب مونسي: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى من المعيارية النقدية إلى الانفتاح القرآني المتعدد (د،ط)، دار الغرب، وهران، 2010م.

13) حسن جعفر نور الدين: موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، (د، ط) ، دار رشاد يس، بيروت (د،ت).

14) حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص)، ط1، مؤسسة المختار، 2001م.

15) حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ط 3، دار الميل، بيروت، (د، ت) .

16) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، ط 1، دار الجيل، بيروت .

17) حنا نصر الحتي: مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 2007م.

18) رياض عبد الفتاح : التكوين في الفنون التشكيلية ، ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م.

19) سعد بوفلاقة: دراسات في الأدب الجاهلي (النشأة والتطور والفنون والخصائص) (د، ط)، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة – الجزائر، 2005م.

20) سعد عبد الرحمن : السلوك الإنساني ، ط3، مكتبة الفلاح، 1983م.

21) سعيد مراد : الفروق والجماعات الدينية في الوطن العربي، (د،ط) ، عين الدراسات والبحوث، 1997م.

22) السليك بن السلكة: الديوان، تح سعد الضناوي. ط1، دار الكتب العربي، بيروت، 1994م.

23) شفيق رضوان : علم النفس الاجتماعي،ط1، المؤسسة الجامعية، 1996م.

24) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2003م.

25) ضياء عني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك،ط1، دار حامد، عمان، 2009م.

26) عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة، 1987م.

27) عبد العزيز نبوي : دراسات في الأدب الجاهلي، ط3، مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م.

28) عبد القادر بن معمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح محمد عبد السلام محمد هارون. ط4، مطبعة المدني، القاهرة، 1997م، ج3.

29) عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي،(د،ط)، دار الوفاء لدنيا،(د،ت).

30) عبد الله أحمد الفيفي: ألقاب الشعراء (بحث في الجدور النظرية لشعر العرب ونقدهم)، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009م.

31) عبد الرحمان عفيف: الشعر الجاهلي (حصاد قرن)، ط 1، دار جرير، عمان ، 2007م.

32) عبده بدوي: الشعراء السود خصائصهم في الشعر العربي، (د، ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.

33) علي أحمد سعيد أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ط3، دار الدعوة، لبنان، 1997م.

34) علي حرب: الإنسان الأدنى أمراض الدين وأعطال الحداثة، ط 2، دار الفارس، لبنان، 2010م.

35) عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب وأحاديث الفروسية والمثل العليا، ط4، دار النهضة مصر، الفجالة، (د،ت) .

36) عنترة : الديوان، دار صادر، ببيروت.

37) غازي ظليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، ط1، دار الإرشاد، حمص، 1992م.

38) ابن قتيبة: الشعر والشعراء : تح محمد شاكر. (د،ط)، دار المعارف القاهرة ، (د،ت)، ج1.

39) القيراواني (أبي علي حسن ابن رشيق) : العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ونقده، تح محمد بن محي الدين عبد الحميد. ط5، در الجيل، 1981م.

40) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر عبد الحليم النجار. ط 5، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)،ج1.

41) محمد إبراهيم أبو سنة: دراسات في الشعر العربي، ط2، دار المعارف، (د،ت).

42) محمد بهاوي: في فلسفة الشخص نصوص فلسفية مختارة ومترجمة،(د،ط)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012م.

43) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1992م.

44) محمد علي إبراهيم: اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)، ط 1، جروس يرس، طرابلس، 2001م.

45) محمد نبيل طريفي: ديوان النصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م ج1، م1.

46) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، تح عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري. ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1997م، ج1.

47) موسى إبراهيم : أجمل ما قاله شعراء الصعاليك، ط 1 ، دار الإسراء، عمان، 2005م.

48) هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام دراسة وفق الأنساق الثقافية، ط1، دار الإيمان، الرباط ، 2013م.

49) يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ط 1، دار مجدلاوي، 2008م.

50) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي . ط3، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

رابعا : الرسائل الجامعية:

1) أمل محمود عبد القادر أبو عون: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات أنموذجا، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح ، نابلس، فلسطين، 2003م.

2) فدوى كرمو علي : الفقراء في أدب دوستويفسكي، رسالة ماجيستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010م.

الملخص:

لقد تطرقت هذه الدراسة ظاهرة التمرد في الشعر الجاهلي" **الشنفرى**" أنموذجا إلى عينة من التراث الشعري الجاهلي، هي شعر المتمردين الذين تصعلكوا فكان نتاجهم تعبيرا عن حالة مأساوية عاشوها، ولما عانوه من قهر بسبب "الفقر" وعقدة "اللون" أو (العرق) فكانت من نتائجه أن تمردوا وخرجوا عن نظام وحيز القبيلة.

فتمرد هذه الطائفة جرأة ميزت سلوكهم وشعرهم وخروجهم عن الجماعة لافتقارهم لكل الحقوق وكل معاني العدالة والمساواة، وهو ما فعله "الشنفرى" نتيجة لما عاناه فقد كان يرى أن خروجه إلى العيش بين فلوات الصحراء الموحشة تحقيقا للعدالة والحرية التي حرم منها والكرامة التي سلبت منه.

فجاء شعره صرخة من الصميم ودعوة صريحة للمساواة بين " الأبيض" و "الأسود" و"العبد" و"الحر" لأنها قيم إنسانية تهدف إلى تأسيس مجتمع العدالة والمساواة وهي أخلاق تضمن لكل مظلوم حقه.

Résumé :

Cette étude explique le phénomène de l'opposition dans le poésie ELDJAHILI (avant ISLAM) : comme type ECHANFRA une échantillon la poésie EL DJAHILI. Qui est la poésie de l'opposition la : (EL SAALIK) qui explique leur états douloureuse vécue et de l'état de souffrance et la pauvreté complexe de couleur de peau et de nationalité qui résulte leur oppositions et leur sorties de leur groupes. L'opposition de ce groupe caractérises leur poésies et leur caractères et leur sorties de groupe alors ils ont perdu leur droits et leur justice et l'égalité ce qui est exprimé par (ACHANFRA) à couse de souffrance puisque il considère que la vie dans le SAHARA et dans les prairies sauvage et la mi heure pour obtenir la liberté et la justice perdue et la noblesse souhaitée donc sont sa poésie est véridique exprimé par son âme et l'appelle à égalité entre le « le blanc » et le « noir » « l'ex lave »et le « libre » car ils sont des valeurs et des qualité humaine pour but d'égalité et de justice.

فهرس الموضوعات :

الرقم	العنوان	الصفحة
	مقدمة	أ+ب+ج
	مدخل	5
	الفصل الأول :التمرد المفهوم والمظاهر.	
أولا	التمرد .	18
1	مفهوم التمرد.	18
1-1	لغة .	18
1-2	اصطلاحا .	19
2	أسباب التمرد.	21
2-1	الفقر .	22
2-2	اللون (العرق) .	25
3	التمرد في التحليل النفسي.	30
ثانيا	الصعلكة نتيجة للتمرد .	32
1	مفهومها .	32
1-1	لغة .	32
1-2	اصطلاحا	33
2	قيم الصعلكة	36
2-1	الحرية والمساواة .	36
2-2	الشجاعة.	39
2-3	الكرم	43
2-4	الوفاء بالوعد	46
	الفصل الثاني : التمرد في شعر الشنفرى	
أولا	الشنفرى حياته.	50
1	نسبه ونشأته.	50
2	وفاته.	52

فهرس الموضوعات :

3	شعره	54
ثانيا	تجليات التمرد وفلسفته في شعر الشنفرى.	56
1	تجليات التمرد في شعره.	56
1-1	الفقر	56
2-1	اللون	62
2	فلسفة التمرد في شعره.	65
1-2	الفروسية	65
2-2	الشجاعة	71
	الخاتمة	77
	قائمة المصادر والمراجع	80
	الملخص بالعربية	86
	الملخص بالفرنسية	87
	الفهرس	89

الملخص:

لقد تطرقت هذه الدراسة ظاهرة التمرد في الشعر الجاهلي" **الشنفرى**" أنموذجا إلى عينة من التراث الشعري الجاهلي، هي شعر المتمردين الذين تصعلكوا فكان نتاجهم تعبيرا عن حالة مأساوية عاشوها، ولما عانوه من قهر بسبب "الفقر" وعقدة "اللون" أو **(العرق)** فكانت من نتائجه أن تمردوا وخرجوا عن نظام وحيز القبيلة.

فتمرد هذه الطائفة جرأة ميزت سلوكهم وشعرهم وخروج عن الجماعة لافتقارهم لكل الحقوق وكل معاني العدالة والمساواة، وهو ما فعله "الشنفرى" نتيجة لما عاناه فقد كان يرى أن خروجه إلى العيش بين فلوات الصحراء الموحشة تحقيقا للعدالة والحرية التي حرم منها والكرامة التي سلبت منه.

فجاء شعره صرخة من الصميم ودعوة صريحة للمساواة بين " الأبيض" و "الأسود" و"العبد" و"الحر" لأنها قيم إنسانية تهدف إلى تأسيس مجتمع العدالة والمساواة وهي أخلاق تضمن لكل مظلوم حقه.

Résumé :

Cette étude explique le phénomène de l'opposition dans le poésie ELDJAHILI (avant ISLAM) : comme type ECHANFRA une échantillon la poésie EL DJAHILI. Qui est la poésie de l'opposition la : (EL SAALIK) qui explique leur états douloureuse vécue et de l'état de souffrance et la pauvreté complexe de couleur de peau et de nationalité qui résulte leur oppositions et leur sorties de leur groupes. L'opposition de ce groupe caractérises leur poésies et leur caractères et leur sorties de groupe alors ils ont perdu leur droits et leur justice et l'égalité ce qui est exprimé par (ACHANFRA) à couse de souffrance puisque il considère que la vie dans le SAHARA et dans les prairies sauvage et la mi heure pour obtenir la liberté et la justice perdue et la noblesse souhaitée donc sont sa poésie est véridique exprimé par son âme et l'appelle à égalité entre le « le blanc » et le « noir » « l'ex lave »et le « libre » car ils sont des valeurs et des qualité humaine pour but d'égalité et de justice.